

البَيْعَة، المعاهدة والمعاهدة والمبايعة على الطاعة للنبيّ أو الإمام، أو الحاكم أو الخليفة. هذه الكلمة من الجذر ب ي ع، بمعنى العطاء والمصافحة باليد اليمنى لإيجاب عقد البيع (ابن منظور؛ الفراهيدي؛ الفيومي، مادة "بيع"؛ شهيدي، ص 125).

الاستعمال. قبل الإسلام، كان من عادة العرب، في أثناء البيع والشراء، أن يتصافح المشتري والبائع باليد اليمنى، لإتمام عقد البيع نهائيًا، والتأكيد على الالتزام بما نصّ عليه، ويُسمّى هذا الفعل "البَيْعَة"، أو "الصَّفَقَة"، ومعناه أن المعاملة قد أُنجزت. كان من السائد كذلك أن يُصافح أفراد الجماعة أو القبيلة الحاكم أو رئيس القبيلة، تعبيرًا عن تعهدهم بطاعته وتنفيذ أوامره. وقد سُمّيَ هذا الفعل بَيْعَةً لَشَبَهِهِ بالبَيْعَة في عقد البيع (ابن خلدون، ص 209؛ الكتّاني، مج 1، ص 221-222؛ شهيدي، م. ن، ص. ن؛ د. الإسلاميّة، الطبعة الثانية، مادة "بيع"؛ الزحيلي، مج 6، ص 684).

على هذا الأساس عدّد عددٌ كبيرٌ من المحققين المعنى الاصطلاحيّ لكلمة البَيْعَة في النصوص والمصادر الإسلاميّة، مصافحة الشخص باليد اليمنى تعبيرًا عن الإذعان لطاعته أو رئاسته (شهيدي، م. ن، ص. ن؛ الشهرستاني، ص 155؛ الفراهيدي، معلوف، مادة "بيع"). تدريجيًّا طرأ الكثير من التغيير والتنوع في مظاهر البَيْعَة، وأطلقت هذه التسمية تاليًا على العقد أو التعهد الذي جاء هذا الفعل معبرًا عنه ودليلاً عليه، وشاع، وصار متداولًا بهذا المعنى الثاني. من هنا يجب حساب المعنى الشائع والاصطلاحيّ للبَيْعَة في القرآن والسنة والتاريخ وعلم الكلام، والفقهاء السياسيّ الإسلاميّ، المعاهدة أو العقد الذي يُبرمه المُبايع مع الإمام، أو الحاكم، أو غيره، على أن يطيعه في أمرٍ محدّد، أو أن يطيعه طاعةً مطلقة، ويخضع له، ويلتزم بما ينصُّ عليه التعهد، ويفي به (ابن منظور؛ ابن الأثير؛ معلوف، مادة "بيع"؛ مكارم الشيرازي، مج 1، ص 517؛ السبحاني، 1985م، ص 261؛ نفسه، 1412هـ، مج 4، ص 63؛ القاسمي، مج 1، ص 273؛ عبد المجيد، ص 17-18؛ عنایت، 1983م، ص 24).

تاريخيًّا. كان تقليد البَيْعَة، قبل الإسلام، شائعًا، تعبيرًا عن الموافقة على سيادة رئيس القبيلة، أو تعيين شخصٍ ما في منصبٍ مهمٍّ (سبحاني، 1985م؛ شهيدي، م. ن، صص. ن). أشار الطبري (مج 2، ص 255-256) إلى مبايعة قريش وبني كنانة قُصَيِّ بن كلاب، الجدّ الأعلى للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حين قرّر إخراج خزاعة من مكّة. أقرّ النبيّ مبدئيًّا هذا التقليد، أو هذه العادة الاجتماعيّة، وأوّل بَيْعَة في السيرة النبويّة، بَيْعَة الإمام عليّ والسيدة خديجة عليهما السلام النبيّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، على الإسلام (← المجلسي، مج 65،

ص 392-393؛ الحرّ العامليّ، مج1، ص 281). مع ذلك، عدّ ابن شهر آشوب (مج2، ص 21، 24) "بَيْعَةَ الْعَشِيرَةِ" أَوَّلَ بَيْعَةٍ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ فِي "يَوْمِ الدَّارِ". يومئذ طلب النبيّ بأمر من ربّه إلى بني هاشم أن يبايعوه على الإسلام، وتنصُّ الأحاديث لدى أهل السنّة والشيعة، على أن عليّاً، وحده، هو الذي بايع النبيّ، وكان أصغر الحاضرين سنّاً (الطبري، مج2، ص 319-321). البَيْعَتَانِ الْأَخْرَيَانِ الْمَهْمَتَانِ اللَّتَانِ عُقِدَتَا فِي مَكَّةَ هُمَا: بَيْعَةُ الْعُقْبَةِ الْأُولَى فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْبِعْثَةِ، وَبَيْعَةُ الْعُقْبَةِ الثَّانِيَةِ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْبِعْثَةِ، وَالبَيْعَتَانِ كِلْتَاهُمَا جَرَتَا فِي مَوْسَمِ الْحَجِّ، فِي الْمَوْضِعِ الْمَسْمُومِ الْعُقْبَةَ (وهو في منتصف الطريق بين مكّة ومنى)، وقد أسفرت البَيْعَتَانِ، لَا سِيَّمَا الثَّانِيَةَ مِنْهُمَا عَنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ (← بَيْعَةُ الْعُقْبَةِ*)، أَيْضاً الْمَجْلِسِيِّ، مج19، ص 23-26؛ الطبري، مج2، ص 361-366؛ القاسمي، مج1، ص 253-257).

من ضمن البَيْعَاتِ الَّتِي جَرَتْ فِي الْمَدِينَةِ بَيْعَةُ الْمُسْلِمِينَ لِلرَّسُولِ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَرَّرَ التَّوَجُّهَ إِلَى بَدْرِ فِي أَوَائِلِ الْهَجْرَةِ (المجلسي، مج65، ص 395). بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ* أَوْ بَيْعَةُ الشَّجَرَةِ أَيْضاً حَدَثَتْ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهَجْرَةِ فِي الْحَدِيثِيِّ (المجلسي، مج20، ص 317-377؛ الطبري، مج2، ص 632-633). وَرَدَ الْحَدِيثُ عَنْ هَذِهِ الْبَيْعَةِ فِي الْآيَتَيْنِ 10 وَ 18 مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ، وَقَدْ وَصَفَتْ مَبَايِعَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْآيَةِ 10، بِأَنَّهَا مَبَايِعَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَذُمَّ مَنْ يَنْكُثُ الْبَيْعَةَ، أَمَّا مَنْ يَفِي بِالْبَيْعَةِ وَالْعَهْدِ فَلَهُ أَجْرُهُ فِي الْحَيَاةِ الْآخَرَى. فِي الْآيَةِ 18 إِعْلَانٌ عَنْ رِضَا اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْبَيْعَةِ، وَوَعْدٌ بِالنَّصْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَايَعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْمَرَادُ بِالنَّصْرِ فَتْحُ خَيْبَرَ، كَمَا يَرَى مَعْظَمُ الْمَفْسَّرِينَ، أَوْ فَتْحَ مَكَّةَ كَمَا يَرَى الْبَعْضُ.

البَيْعَةُ الْآخَرَى هِيَ مَبَايِعَةُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ (← مَكَّة*) فِي السَّنَةِ 8 لِلْهَجْرَةِ، وَالَّتِي تُشِيرُ إِلَيْهَا الْآيَةُ 12 مِنْ سُورَةِ الْمَتَحَّنَةِ. فِي هَذِهِ الْآيَةِ، طُلِبَ إِلَى النَّبِيِّ أَنْ يَأْخُذَ الْبَيْعَةَ مِنْ نِسَاءِ مَكَّةَ اللَّوَاتِي آمَنْنَ. اشْتَهَرَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّارِيخِ بِاسْمِ (بَيْعَةِ النِّسَاءِ)، وَقَدْ بَايَعَ النَّسَاءُ النَّبِيَّ عَلَى: أَنْ لَا يُشْرِكْنَ، وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ، وَلَا يَنْسَبْنَ مَا فِي بَطُونِهِنَّ لِغَيْرِ آبَائِهِمْ، وَأَنْ يُطْعَنَ النَّبِيُّ وَلَا يَخَالَفَنَّهُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ (الحرّ العاملي، مج14، ص 152-153؛ الطبري، مج3، ص 61-62؛ المجلسي، مج21، ص 97-99، 113، 134؛ البخاري، مج8، ص 125، أَيْضاً حَوْلَ بَيْعَةِ النِّسَاءِ ← الطبرسي، 1408هـ؛ الطباطبائي؛ الزمخشري؛ القرطبي،

المادّة نفسها). آخر بيعة جرت في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بحسب بعض المصادر (← المجلسي، مج37، ص 133، 138، 142، 202-203، 217)، هي بيعة المسلمين للإمام علي عليه السلام في اليوم الثامن عشر من السنة العاشرة للهجرة في موضع اسمه غدير خم؛ وكان موضوع هذه البيعة، ولاية الإمام علي عليه السلام.

فضلاً عن هذه الآيات، يُعبّر مضمون بعض الآيات الأخرى، أو سبب نزولها، عن البيعة. قال بعض المفسرين بشأن نزول الآية 91 من سورة النحل (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم...)، إنّ هذه الآية تخاطب الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الإسلام (← الطبرسي، 1408هـ؛ نفسه، 1379هـ؛ الزمخشري، الآية نفسها). ورد هذا الرأي نفسه في بعض التفاسير شرحاً للآية 15 من سورة الأحزاب (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل... (الطبرسي، 1408هـ؛ الطباطبائي، تفسير الآية)؛ النكت في الآية 12 من سورة التوبة بمعنى نقض البيعة (← الطباطبائي، الزمخشري، تفسير الآية).

استمرّ تقليد البيعة أيضاً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. لكنّ ما وسّم تلك البيعات اختياراً شخصاً خليفة للنبي وحاكماً للمسلمين، ومن ثمّ تباعه مجموعة خاصّة، أو يبايعه الناس جميعاً. ما جرى في السقيفة شكّل نقطة البداية في هذا التحول، ففي يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام عددٌ من المسلمين، منهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، وبعض زعماء المهاجرين والأنصار في موضع يُسمّى سقيفة بني ساعدة بمبايعة أبي بكر خليفة للرسول، ثمّ بايعه عددٌ من الناس، وأخذت البيعة من آخرين بالقوّة (← التستري، مج6، ص 288-289؛ المسعودي، مج2، ص 307-309). وعلى هذا النحو جرت في ما بعد البيعة للخليفين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رض)، وأصبحت تقليداً سياسياً (المسعودي، مج2، ص 312، 340؛ الزحيلي، مج6، ص 689-691). كذلك بعد أن أصرّ الناس على الإمام علي عليه السلام، وافق على تولّي زمام الأمور، فبايعه المسلمون في المسجد (ابن شهر آشوب، مج3، ص 195؛ المسعودي، مج2، ص 358؛ الزحيلي، مج6، ص 692؛ الطبري، مج4، ص 427)، وبعد استشهادهم عقدوا البيعة للإمام الحسن عليه السلام (ابن شهر آشوب، مج4، ص 28؛ الطبري، مج5، ص 158). من البيعات الأخرى لأئمة الشيعة عليهم السلام، يجدر بنا أن نذكر بيعة عدد كبير من أهل الكوفة لمسلم بن عقيل نيابةً عن الإمام الحسين عليه السلام (المسعودي، مج3، ص 64؛ ابن شهر آشوب، مج4، ص 91)، وكذلك بيعة أهل خراسان للإمام الرضا عليه السلام ولياً لعهد المأمون العباسي (←

المجلسي، مج49، ص 144، 146، مج64، ص 184-186؛ الطبري، مج8، ص 554).

من الجدير ذكره أن الأحاديث لا سيّما الأحاديث الشيعيّة، قد تطرقت بالتفصيل إلى هذه البيّعات، بحيث أن بعض المجامع الحديثيّة قد أفردت أبواباً خاصّة لموضوع البيّعة، وتتضمّن هذه الأحاديث أحياناً مباحث كلاميّة (على سبيل الأمّودج ← البخاريّ الجعفيّ، مج8، ص 122-126؛ المجلسي، مج20، ص 317 وما بعدها، مج27، ص 67-73، مج29، ص 3-66، 91-97، مج30، ص 443-470، مج32، ص 5-148).

فضلاً عن ذلك، وردت أحاديث أخرى حول البيّعة، منها ما يتعلّق بحريّة نقض البيّعة (← تتمّة المقالة)، وبعضها الآخر عدّ لمس الحجر الأسود بمنزلة بيّعة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم (الحرّ العامليّ، مج9، ص 406).

أنواع البيّعة. يتبيّن من المعنى اللغويّ للبيّعة أنّها كانت تتمّ بالمصافحة أو الضغط باليد اليمنى؛ وكما ذكر اللغويّون، كانت هذه الطريقة متداولة أيضاً في القسّم (الحلف) والتعاقد، وقالوا إنّ ذلك كان سبب تسمية القسّم باسم "اليمين" (← اليمين*)؛ كما كان سبب تسمية البيّعة باسم "الصفقة" (المجلسي، مج2، ص 266، مج27، ص 68؛ ← ابن منظور؛ الفراهيديّ؛ الفيوميّ، م. ن، ص. ن). وُصفت بيّعة الرجال في سيرة الرسول الأكرم على هذا النحو أيضاً (المجلسي، مج20، ص 367، مج37، ص 133، مج65، ص 392، 395؛ نهج البلاغة، الخطب 8، 137، 170، 229). عدّ بعض المفسّرين عبارة "يد الله فوق أيديهم" في الآية 10 من سورة الفتح إشارةً إلى تحقّق البيّعة بالمصافحة (الطباطبائيّ)، تفسير الآية). مع ذلك كلّه وردت في الأحاديث أنواع أخرى من البيّعة (للاطلاع على هذه الأشكال من البيّعة، من بين المصادر ← المجلسي، مج49، ص 144، 146، مج64، ص 184-186). كما أنّ البيّعة تتمّ أحياناً بإعلان البائع رضاه، ومن دون المصافحة (شهيد، ص 127؛ عبد المجيد، ص 23-24).

تمّت بيّعة النساء للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على نحو آخر؛ فقد جاء في بعض الأحاديث أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وضع يده في أوّل الأمر في وعاء فيه ماء، وفعلت النساء مثله (← الطبري، مج3، ص 62؛ المجلسي، مج21، ص 99، 113، 117، 134، مج64، ص 184، 187، 188). ورد في آيات أخرى أنّ المصافحة في بيّعة النساء تمّت بأيدي غطّتها الأثواب (← الطبرسيّ، 1408هـ؛ الزمخشريّ، سورة الممتحنة: 12).

أوردت بعض الأحاديث كذلك أنَّ بَيْعَةَ النساء للنبيِّ اقتصرَت على المبايعة الكلامية واللفظية (الطبرسي؛ الطبري، م. ن، صص. ن؛ الكتّاني، مج1، ص 222؛ البخاريّ الجعفي، مج8، ص 125، باب بَيْعَةَ النساء). فضلاً عن ذلك، ذُكر في بعض الأحاديث أيضاً أشكالٌ أخرى لبَيْعَةَ النساء (المفيد، ص 63). يقول القاسمي (مج1، ص 277-278): إنّنا إذا استثنينا المرّات المعدودة التي بايعت النساء فيها النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومنها بَيْعَةَ العقبة الثانية، وبَيْعَةَ الرضوان، وفتح مكة (الطبري، مج2، ص 361-366، 632-633، مج3، ص 61-62). لا وجود لأيّ رواية تحكي عن بَيْعَةَ النساء في عهود الخلفاء والحكّام، ويبدو أنّ البَيْعَةَ في ما بعد قد اقتصرَت على الرجال.

في تصنيف عامٍّ للبَيْعَات التي عقدها النبيّ يرى ابن شهر آشوب (مج2، ص 21) أنّها نوعان: البَيْعَةَ الخاصّة والبَيْعَةَ العامّة. الخاصّة لمجموعة معيّنة مثل بَيْعَتِي الأنصار في العقبة، وبَيْعَةَ العشيرة؛ أمّا البَيْعَةَ العامّة فللعوم كبَيْعَةَ الشجرة (أيضاً ← فاكّر المبيدي، ص 183-186). كان للبَيْعَةَ كما جاء في المصادر الحديثية والتاريخية صيغةٌ تنصُّ على موضوعها، ينطق بها المُبايِعُ عادّةً (على سبيل الأنموذج ← المجلسي، مج19، ص 26، مج21، ص 98، 113، ومج65، ص 392-393، 395). كانت البَيْعَةَ أحياناً مشروطةً على نحو ما، أي تتضمّن تعهداً لمصلحة المُبايِع. وأحياناً كان الموضوع الأساسي للبَيْعَةَ يُعبّر عنه بالشرط (الكتّاني، م. ن، ص. ن). يبدو أنّ بَيْعَةَ العشيرة، هي البَيْعَةُ الوحيدة في سيرة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، التي كانت مشروطةً، إذ اشترطَ فيها خلافة المُبايِع ووصيّته (ابن شهر آشوب، مج2، ص 25؛ الطبري، مج2، ص 321). يُلاحظ في بَيْعَةَ بعض الخلفاء أحياناً شروط، منها شرط العمل بكتاب الله وسنة نبيه (القاسمي، مج1، ص 274؛ الزحيلي، مج6، ص 691؛ البخاريّ الجعفي، مج8، ص 122).

كانت البَيْعَةَ تُعقد أحياناً بواسطة وكيل المُبايِع أو نائبه، من ذلك بَيْعَةُ النساء للإمام عليٍّ عليه السلام نيابةً عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الحديثية (المفيد، م. ن، ص. ن)، وبَيْعَةُ أهل الكوفة مسلماً بن عقيل نيابةً عن الإمام الحسين عليه السلام (المسعودي، مج3، ص 64؛ المجلسي، مج44، ص 335-336)، وكذلك بَيْعَةُ الرسول الأكرم نيابةً عن عثمان في الحديثية، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو الطرف الآخر في تلك البَيْعَةَ (← المجلسي، مج2، ص 367؛ القاسمي، مج1، ص 289). طُرحت كذلك بعد اتّساع رقعة البلدان الخاضعة لسلطة الدولة الإسلامية، ورواج تقليد أخذ البَيْعَةَ للخلفاء قضيةً بَيْعَةَ أهالي البلدان

الخاضعة للحكومة المركزية (= الأقاليم)؛ فقد كان أهالي تلك الأقاليم أو الولايات يُبايعون عادةً الحاكم المحلي نيابةً عن الخليفة (القاسمي، مج1، ص 289-290؛ شهدي، م. ن، ص. ن).

استمرت عادة البيعة للخليفة في العصرين الأموي والعباسي، إنما لحقتها تغييرات في الشكل والمضمون. على الرغم مما صاحب أخذ البيعة من إكراه أحياناً في عهد الخلفاء الأوائل، بدأ منذ استلام معاوية للحكم تغيير في عناصر البيعة شكلاً ومضموناً؛ ويعتقد عددٌ كبير من كتاب أهل السنة أن معاوية كان يلجأ إلى مختلف الأساليب التي تساعد على تدعيم خلافته، وتثبيت سلطة عائلته، وأخذ البيعة لنفسه ولابنه يزيد، كاستغلال السلطة والنفوذ، والتهديد والوعيد، والوعود والإغراءات المختلفة، كالإغراء بالحكم، وبث الخلاف والفرقة بين الناس، وحبك المؤامرات (← القاسمي، مج1، ص 281-287؛ عبد المجيد، ص 60-61).

بالتدرج خالط الإكراه والإجبار ماهية البيعة، وما طرح في الواقع كان أخذ البيعة وليس المبايعة الحرّة، أو النابعة من إرادة المُبايع ومشيئته (الكتّاني، مج1، ص 223؛ المسعودي، مج3، ص 79: "وباع الناس على أنهم عبيدٌ ليزيد")؛ كذلك فإنَّ يزيد أمرَ عامله على المدينة، الوليد بن عتبة، أن يقبض على الحسين عليه السلام وعبيد الله بن الزبير وبضعة أشخاص آخرين ليُبايعوا، أو يرسلَ إليه رأس من يرفض (الطبري، مج5، ص 338). لقد نَحَت البيعة في هذا العصر منحىً تشريفيًا كمالياً؛ وجرت العادة أيضاً أن تؤخذ البيعة للخليفة الجديد في بداية حكمه تعبيراً عن الطاعة والإخلاص له (على سبيل الأمودج ← الطبري، مج7، ص 311، 471، مج6، ص 423)، وكانت البيعة تؤخذ أيضاً في حياة الخليفة لوليِّ عهده، أو لأولياء عهده (م. ن، مج7، ص 295، مج5، ص 301، مج6، ص 531-532؛ المسعودي، مج4، ص 210-211). وكثيراً ما كانت البيعة تؤخذ للخليفة في بداية حكمه مقابل الكثير من الوعود والأعطيات، فقد بلغت نفقات بيعة المقتدر العباسي ثلاثة ملايين دينار. فضلاً عن ذلك، كان الخليفة بعد أن يستقرَّ حكمه يوزع مقابل البيعة مبالغ من المال للجند باسم "رزق البيعة" (← القاسمي، مج1، ص 286). ويبدو أن الراغب الإصفهاني (مادة "بيع") فسّر البيعة من خلال هذا المفهوم حين قال إنها "بذل الطاعة مقابل القليل من العطاء". وردت أخبار البيعة المختصة بالقادة العسكريين وبجند الخليفة في العصر العباسي منذ عهد المنصور والمهدي وعيسى (القاسمي، مج1، ص 290-291). كان الخليفة نفسه أحياناً هو الذي ينقض البيعة المأخوذة لوليِّ عهده، ويُعيّن آخرَ مكانه ولياً للعهد (← الطبري، مج8، ص 9).

شكلياً أيضاً طرأت تغييرات على البيعة. فعلى الرغم من أن تقليد المصافحة بالأيدي قد ظلّ معمولاً به لمدة طويلة، كانت البيعة في العصر الأمويّ تتضمن "الاستحلاف" على العهد، وقد أقرّ الحجاج أيماناً خاصّة سماها "أيمان البيعة"، كانت تُقرّر في أثناء المبايعات وتتضمّن عددًا من عبارات القسم (← ابن قدامة، مج 11، ص 330؛ ابن خلدون، ص 209؛ الكتّانيّ، م. ن، ص. ن). يقول ابن خلدون (م. ن، ص. ن): "أمّا البيعة المشهودة لذلك فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الأرض أو اليد أو الرجل، أو الذيل، أُطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد مجازاً، لما كان هذا الخضوع في التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها، وغلب فيه حتى صارت حقيقة عرفية، واستغنى بها عن مصافحة أيدي الناس التي هي الحقيقة في الأصل، كما في المصافحة لكلّ أحدٍ من التنزّل والابتدال المُنافيين للرئاسة وصون المنصب الملوكيّ إلا في الأقلّ، ممّن يقصد التواضع من الملوك فيأخذ به نفسه مع خواصّه ومشاهير أهل الدين من رعيّته" (← الكتّانيّ، م. ن، ص. ن)، إذا يرى ابن خلدون (م. ن، ص. ن)، أن هذا العمل الذي كان على ما يبدو عرفاً في عصره، سُمّيَ باسم البيعة مجازاً. يحكي الكتّانيّ (م. ن، ص. ن) عن نوعٍ من البيعة المكتوبة التي كانت متداولةً في عصره، كان المُبايع فيها يكتب نصّاً يُضمّنه الإقرار بسلطة الحاكم، أو يُدرج اعترافه في نصّ عليه شهود. تدلّ النصوص التاريخية (السيوطي، ص 26، الفائدة 20؛ القاسمي، مج 1، ص 291-292) أنّ بيعة الخلفاء والحكّام كانت تتضمن مراسم واحتفالات خاصّة تختلف باختلاف البلدان، من بين التقاليد التي راجت على ما يبدو منذ بداية العصر الأمويّ، تقليد "تجديد البيعة"، أي أنّ الخليفة كان يأخذ البيعة مجدّداً لنفسه، أو لوليّ عهده، ترسيخاً لإخلاص الناس وإطاعتهم (د. الإسلامية، الطبعة الثانية، مادّة "بيع").

يرى شهيد (م. ن، ص. ن) أنّ تقليد البيعة راج في جميع الحكومات التي حملت دعوة الخلافة الإسلامية، كالخوارج والفاطميين، وأمويّ الأندلس، وحتى العثمانيين، وظلت متداولةً في إيران طيلة المدّة التي كانت خاضعةً فيها لحكومات تابعة للخلافة الإسلامية؛ ويبدو أنّها انقرضت بعد انهيار الخلافة العباسية. بالإضافة إلى الحكومات، كانت تقليد البيعة موجوداً أيضاً لدى أعداء الخلفاء والمعارضين لهم، كبيعة أهل العراق لعبد الله بن الزبير (المسعودي، مج 3، ص 83)؛ البيعة لزيد بن عليّ بن الحسين من أصحابه (الطبري، مج 7، ص 167، 171)؛ بيعة جماعة من الناس لمحمد بن عبد الله النفس الزكية في أواخر العصر الأمويّ، وفي عهد المنصور

(المسعودي، مج3، ص 294، 306)؛ البيعة التي أخذها أبو مسلم من أهل خراسان لإبراهيم الإمام (الطبري، مج7، ص 379-380).

المباحث الكلامية والفقهية. اتخذت لفظة البيعة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مفهوماً وطابعاً سياسيين، حتى أن البعض من أهل السنة يقررون أنها تحولت بعد بيعة السقيفة إلى مصطلح سياسي (القاسمي، مج1، ص 257-258). على الرغم من أن مصادر أهل السنة الكلامية والفقهية عدت آثاراً مهمة لمبايعة الحاكم، قليلاً ما أخضعت ماهية البيعة للبحث والتحليل.

في المصادر الفقهية المتأخرة لدى أهل السنة والشيعة على حد سواء، ظهرت آراء مختلفة حول الماهية الحقوقية للبيعة. كثيرٌ منها عدّ البيعة انطلاقةً من معناها اللغوي، ولشبهها بعقد البيع، عقداً يتضمّن تعهداً من طرفين، وبالمصطلح الفقهي عقد معاوضة، أي أن المُبایع يتعهد في عقد البيعة بأمرٍ مثل اتباع المُبایع وإطاعته، والالتزام بأوامره، والإخلاص له، ويتعهد المُبایع له، أن يحكم بالكتاب والسنة، وأن يحمي المُبایع، ويدير شؤونه بأمانة وإخلاص، وغير ذلك من الأمور (مكارم الشيرازي، مج1، ص 517؛ السبحاني، 1985م، ص 260؛ نفسه، 1412هـ، مج4، ص 62؛ منتظري، مج1، ص 523؛ بغا، ص 263؛ القاسمي، مج1، ص 273-274؛ عبد المجيد، ص 18؛ الزحيلي، مج6، ص 683-684). يرى بعض العلماء أن معنى البيعة كما ورد في الآية 10 من سورة الفتح، هو بيع الأرواح والأنفس ابتغاء الجنة (ابن شهر آشوب، مج2، ص 22؛ الطبرسي، 1408هـ، تفسير الآية).

إن التأمل في البيعات التي عُقدت في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يؤكد الماهية العقدية للبيعة، كما يدلّ من ناحية أخرى على أنها جميعاً كانت بموجب عقد البيعة تضع على عاتق المُبایع تعهداً خالصاً بالالتزام بالإسلام، وبنصرة النبي، وطاعته، وجهاد الكفار، وما أشبه، ولم تضع في المقابل أيّ تعهد على عاتق النبي. علماً أن أحد الأحاديث قد تطرّق للكلام على الحقوق المتقابلة للمُبایع والمُبایع (المجلسي، مج19، ص 26)، والمراد بحقوق المُبایع استناداً إلى هذا الحديث نفسه، وإلى الآيات القرآنية النصر والثواب الإلهيان، اللذان هما في الواقع نتيجة وثمرّة لعمل المُبایعين، بناءً على مفاد تعهدهم، وليس عوضاً عن الاتفاقية في عقد البيعة. في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة (الخطبة 34)، ذكر أيضاً العمل بالبيعة فقط في عداد حقوق الحاكم على الناس. والظاهر أن عدداً كبيراً من المحققين

قد عدّوا على أساس هذا التحليل نفسه البيعة "عهداً على الطاعة" أو "بذل الطاعة" (ابن خلدون، م. ن، ص. ن؛ الكتّاني، مج 1، ص 222، سبحاني، 1985م، ص 261؛ معرفت، ص 82؛ آصفي، ص 80، 86؛ مكارم الشيرازي، مج 1، ص 519؛ الشهرستاني، ص 155؛ الطباطبائي، مادة الفتح: 10؛ الراغب الإصفهاني، م. ن، ص. ن)؛ وقال البعض إنَّ البيعة عقدٌ غير معوّض، ويُشبهه عقد الهبة (عبد المجيد، ص 22)، حتى أنَّ البعض عدّها من مقولة الإيقاع (مكارم الشيرازي، مج 1، ص 517). يرى بعض المؤلفين أنَّ البيعة تتضمن تعهداً أحادي الجانب (← القاسمي، مج 1، ص 276). الجدير قوله إنَّ الحديث قد تطرّق أكثر من مرّة في أقوال عليّ عليه السلام عن حقوق الناس على الحاكم، وعن أهمّيّة تلك الحقوق (← الخطبتان 34، 216 والرسائل 26، 45، 53)؛ لكن لا يُمكن عدّ هذه الحقوق ناجمةً عن البيعة.

تتضمّن البيعة بناءً على ماهيتها العقدية ثلاثة أركان أساسية: المُبايع والمُبايع له، وموضوع البيعة. وبموجب ماهيتها العقدية، يجب أن يتحلّى الطرفان، بناءً على الرأي الفقهي، بالشروط اللازمة مثل البلوغ، والرشد والعقل (الآصفي، ص 85؛ البخاري الجعفي، مج 8، ص 124، باب بيعة الصغير). لقد أجازت بعض أحاديث أهل السنة بيعة الصغير (← الكتّاني، م. ن، ص. ن). كما اشترط في بعض الأحاديث استطاعة المُبايع (البخاري الجعفي، مج 8، ص 122؛ الآصفي، م. ن، ص. ن). من ضمن الشروط التي جرى التأكيد عليها في المصادر الفقهية، الإرادة وعدم الإكراه، بالنسبة إلى الطرفين كليهما (عبد المجيد، ص 133-138؛ القاسمي، مج 1، ص 275؛ الشهرستاني، ص 157؛ الآصفي، ص 86). عدّت مصادر أهل السنة البيعة المصحوبة بالإجبار أو الإكراه فاسدةً شرعاً، وفي الوقت عينه، عدّت قانونيةً ونافاذةً إن توافرت فيها الشروط (عبد المجيد، ص 139-140).

إنّ موضوع عقد البيعة هو المسألة الأساسية التي يدور حولها الخلاف بين الشيعة وأهل السنة. بعد أن حدث ما حدث في السقيفة، وجرت للمرّة الأولى المُبايع على الخلافة وقيادة الأمة، تصدّى متكلمو أهل السنة في العصور اللاحقة، لتوضيح المباني والأسس الكلامية للحادثة المذكورة. من هنا، طرحت مصادرهم الكلامية نظريةً مفادها أنَّ الإمامة يمكن أن تحصل بناءً على إرادة الناس واختيارهم، وذلك بواسطة البيعة، أو أنَّ البيعة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق الإمامة لشخص من الأشخاص (الباقلاني، ص 178؛ البغدادي، ص 279). تطرّق بعد ذلك كتّاب الفقه السياسي من أهل السنة كالماوردي وأبي يعلى الفراء نظراً لاعتقادهم بأنَّ

الإمامة فرعٌ من فروع الدين بدلاً من الأصول (بهذا الصدد ← سبحاني، 1412هـ، مج4، ص 9-12)، إلى البحث في مؤلفاتهم في شروط البيعة وآثارها الحقوقية على أساس هذه النظرية الكلامية (← الماوردي، ص 7 وما بعدها؛ عبد المجيد، ص 21-22، 73 وما بعدها).

عدّد كبير من فقهاء أهل السنة بيعة المجموعة المسماة "أهل الحلّ والربط*" موجّباً لانعقاد الخلافة (حول التسميات الأخرى لهذه المجموعة مثل: أهل الاختيار، وأهل الاجتهاد، وغير ذلك من التعريفات المختلفة ← الزحيلي، مج6، ص 685-686؛ الماوردي، ص 31-33؛ عبد المجيد، ص 91-101؛ القاسمي، مج1، ص 266-270). رأى البعض ومن بينهم الأشعري، أنّ الحدّ الأدنى من عدد المُبايعين اللازم لتحقيق الإمامة رجلٌ واحد، والبعض قال: اثنان، وجماعة قالت ثلاثة، وأخرى خمسة، وآخرون قالوا: أربعون. رأى البعض من دون تحديد عدد معيّن ضرورة مبايعة أكثرية "أهل الحلّ والربط"، ورأى آخرون ضرورة مبايعتهم كلّهم، أو ما يُسمّى بالإجماع (← الزحيلي، مج6، ص 685-687؛ الماوردي، ص 33-34؛ عبد المجيد، ص 91، 93؛ القاسمي، مج1، ص 267-269؛ أيضاً حول نقد هذا الرأي ← الباقلاني، م. ن، ص. ن). يرى بعض أهل السنة على نحو مُبهم أنّ بيعة مجموعة من أهل الحلّ والربط كافية (القاسمي، مج1، ص 268؛ الزحيلي، مج6، ص 687). يرى بعض فقهاء أهل السنة أنّ انعقاد الخلافة غير ممكن إلاّ بالبيعة (← الماوردي، ص 33-35؛ عبد المجيد، ص 74-78؛ البغدادي، م. ن، ص. ن؛ الزحيلي، مج6، ص 683-684). عدّد من الفقهاء المتأخّرين والمعاصرين، فضلاً عن البيعة المذكورة، بيعة عامّة الناس ركنًا أصلياً لثبوت الخلافة، والبيعة تتمّ على ثلاث مراحل: ترشيح شخص للخلافة، فالبيعة الخاصة أو الصغرى، ثم البيعة العامة أو الكبرى (الزحيلي، مج6، ص 687، 692؛ عبد المجيد، ص 73-105؛ القاسمي، مج1، ص 259-260). شرح الماورديّ مقدمات البيعة ومراحلها بالكثير من التفصيل (ص 33-37؛ حول هذا الموضوع، وكذلك حول شروط المُبايعين والمُبايعين، وشروط صحّة البيعة، بمنظار فقه أهل السنة ← عبد المجيد، ص 142-148، 308-311). كذلك جرى البحث في المصادر حول آثار البيعة لشخصين في الوقت نفسه (← الماوردي، ص 37-38؛ الآصفي، ص 108-113).

بالمنظار الشيعي من غير الممكن عقد البيعة لكلّ أمرٍ من الأمور، وعلى فرض أنّنا نعدّ البيعة عقدًا، يجب أن يكون موضوع عقد البيعة مشروعًا وجائزًا. فعلى سبيل المثال، يرى

متكلمو الشيعة مسألة الإمامة وخلافة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، من الموضوعات التي لا يمكن أن تثبت من خلال بَيْعَة مجموعة من الناس، أو الناس كلهم، وإنما من خلال الأدلة العقلية والنقلية العديدة، يجب أن يكون الإمام منصوباً عليه (المظفر، مج2، ص 25-32؛ السبحاني، 1412هـ، مج4، ص 26-45). يرى فقهاء الشيعة أنه على الرغم من أن العمل بعقد البيعة ملزمٌ استناداً إلى أدلة لزوم الوفاء بالعقد أو الشرط مثل "أوفوا بالعقود" (المائدة: 1) (سبحاني، 1985م، ص 262-263؛ مكارم الشيرازي، م. ن، ص. ن؛ الحائري، 1414هـ، ص 201-202)، لكن هذه الأدلة نفسها، لا يمكن أن تهب موضوع العقد المشروعية، وإنما تدلُّ فقط على لزوم الوفاء بشروط العقود المشروعة (الحائري، 1399هـ، ص 164؛ الموسوي الخليخالي، ص 580؛ الشهرستاني، م. ن، ص. ن).

يرى علماء الشيعة كذلك، أن ماهية البيعة في زمن الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مع الأخذ في الاعتبار معنى اللفظة اللغوي، ونظراً لوجوب طاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالأدلة العقلية والنقلية، لم تكن إنشائية، بل كان لها منحى توكيدي فقط، وكان الهدف من عقدها التأكيد العملي للإيمان بالنبي، والتعهد بمسئلات الإيمان، وتعبير البعض "إيجاد دافع جديد لنصرة النبي وطاعته"، إذاً، لا يستند أصل مشروعية النبي الأكرم، وثبوت مقام ولايته، وحتى وجوب اتباعه إلى البيعة (← سبحاني، 1985م، ص 261-263؛ نفسه، 1412هـ، مج4، ص 63؛ مكارم الشيرازي، مج1، ص 518-519؛ علم الهدى، مج2، ص 150؛ منتظري، مج1، ص 526؛ الحائري، 1414هـ، ص 200؛ نفسه، 1399هـ، ص 173-174؛ آصفي، ص 89-90؛ الموسوي الخليخالي، ص 555، 579)، كما أن الجانب التوكيدي للبيعة، كثيراً ما يُشاهد في البيعات التي عُقدت للخلفاء، لا سيما في الحالات التي انعقدت فيها الخلافة، بناءً على وصية الخليفة السابق، وتعيينه لخلفه، كخلافة عمر بن الخطاب (رض)، وخلافة عثمان بن عفان (رض) (وحتى حول خلافة أبي بكر (رض) ← سبحاني، 1985م، ص 263؛ الحائري، 1414هـ، ص 209). يرى فقهاء الشيعة (سبحاني، م. ن، ص. ن)، أن نظرية أهل السنة هذه، إما أنها مستمدة من تقليد البيعة لشيخ القبيلة لدى العرب قبل الإسلام (حول رأي بعض المستشرقين ← عبد المجيد، ص 39)، أو مبنية على ادعاء اختيار جميع أو بعض خلفاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من طريق البيعة؛ في حين أن أيّاً من الأمرين ليس سنداً يُعتدُّ به.

الإشكالية الأخرى لدى العلماء الشيعة بهذا الصدد وجود الإجبار، أو على الأقل الإكراه في معظم حالات بيعة الناس للخلفاء استناداً إلى الأحداث التاريخية، التي أقرّ بها حتى بعض أهل السنة (عبد المجيد، ص 138؛ الخطيب، ص 409-412). فهناك الكثير من الأدلة التاريخية والحديثية، التي تثبت أن الإمام عليّ عليه السلام، وبني هاشم وعدداً من كبار الصحابة لم يُبايعوا أباً بكر (رض) بعد حادثة السقيفة، وقد أكرهوا بعد ذلك على المبايعه (← علم الهدى، مج 2، ص 12، 151؛ المسعودي، مج 2، ص 307-309؛ المجلسي، مج 29، ص 36، 91-93، 95). فضلاً عن ذلك، أحد مؤسسي تلك البيعة وصفها بأنها عمل متسرّع [فلتة وقى الله المؤمنين شرّها] ولا يجوز تكرارها (← السيوطي، ص 67؛ التستري، مج 6، ص 281-287؛ المجلسي، مج 30، ص 443-470؛ الشهرستاني، ص 156). في هذا السياق لم تحدث أيّ بيعة حرّة، إلا في خلافة الإمام عليّ عليه السلام، الذي لم يوافق، على الرغم من إصرار أصحابه، على أخذ البيعة الإجبارية، وعدد الذين لم يُبايعوا، كما تقول المصادر التاريخية، كان محدوداً جداً، ولم يُحرّموا من حقوقهم الإجتماعية أو يتعرض لهم أحد (المسعودي، مج 2، ص 361-362؛ التستري، مج 6، ص 257، 272-273، 301-305).

ادّعى بعض مؤلفي أهل السنة (عماد الدين الكاتب، ص 14-15؛ القاسمي، مج 1، ص 262-264)، استناداً إلى الخطب والرسائل الواردة في نهج البلاغة (من ضمنها الخطب 8، 137، 172، 218، والرسائل 1، 6، 7، 54)، حيث جرى الكلام على كون البيعة ملزمة للناس، حتى أولئك الذين لم يُبايعوا، ادّعوا أن الإمام عليّ والإمام الحسن عليهما السلام قد وافقا على ثبوت الإمامة بالبيعة (القاسمي، مج 1، ص 265). لكنّ المحققين الشيعة يرفضون هذا الرأي، لأنّ الإمامة لا تثبت بالبيعة، فضلاً عن أنّ ما يُعدّ من ضرورات علم الكلام الشيعي، ما صرّح به وأكدّه عليّ عليه السلام شخصياً (من ذلك ← نهج البلاغة، الخطب 2، 105، 144، والرسالتان 28، 62، والحكمة 147؛ أيضاً ← التستري، مج 6، ص 262، 271، 294-296). إنّ هذه الأحاديث من خلال هذا الدليل وغيره من الأدلة (← مكارم الشيرازي، مج 1، ص 523-525)، في حال كانت صحيحة السند (حول هذا الموضوع ← الحائري، 1414هـ، ص 210)، يجب أن تُحمّل على محمّل الجدل والمناظرة، بهدف الإفحام والإفناع (أيضاً ← آصفي، ص 95). من ذلك، أن الإمام عليّ عليه السلام، قد أكّد في الخطبة 172، وهو يشرح امتناع تأسيس الإمامة على رأي العموم، أنّه على افتراض قبول

هذا الرأي، فإنَّ الأشخاص الذين لم يحضروا مراسم البيعة مُلزمون بقبول رأي المُبايعين. جاء هذا الكلام، في معرض الردِّ على اعتراض المخالفين (من بينهم معاوية)، الذي رفض إمامة عليٍّ عليه السلام بعد مقتل الخليفة الثالث. يعتقد بعض الفقهاء على الرَّغم من أنَّهم يرون أنَّ الأحاديث الآنفه الذكر قد جاءت في معرض الجدال، أنَّ هذه التوضيحات تدلُّ على ثبوت نوع من الولاية، من خلال التنصيب الإلهيِّ، أو الحصول على نوعٍ من السلطة والمسؤولية الشعبية بواسطة البيعة (آصفي، م. ن، ص. ن؛ منتظري، مج 1، ص 527؛ الحائري، 1414هـ، ص 209-210؛ الموسوي الخلخالي، ص 554-555).

سعى الكثيرون من الفقهاء والكتّاب المعاصرين من أهل السنة، من خلال شرحهم للبيعة، بصفتها عقد يتضمّن تعهدًا من الطرفين (تعاهد)، ومقارنتها بعقد الوكالة، لجعلها معادلةً لنظرية "العقد الاجتماعي" لروسو، الذي يُعدّ من المبادئ الحقوقية الأساسية في الأنظمة الديمقراطية، وعرضها كنظير للانتخابات واستطلاع الرأي (الزحيلي، مج 6، ص 684؛ عبد المجيد، ص 106 وما بعدها؛ القاسمي، ص 273-276؛ عنایت، 1983م، ص 232-233، 236؛ نفسه، 1991م، ص 158). على هذا الأساس تكون بيعة الأكثرية الشعبية للحاكم ملزمة للأقلية (القاسمي، مج 1، ص 276). الظاهر أنَّ الشيخ محمد عبده هو أوّل من طرح هذا الرأي في فقه أهل السنة (عنایت، 1983م، ص 236). لكنَّ هذه النظرية، تعرّضت للنقد، حتى من أهل السنة، أوّلاً لأنَّ ماهية البيعة، لا سيّما في زمن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، عقدٌ أحاديّ التعهد، وليس ثنائيّ التعهد (كعقد الوكالة)؛ ثانيًا ليس بمقدور المُبايع، لا بالمنظار الفقهيِّ، ولا عمليًا وواقعيًا، أن يعزل المُبايع له، في حين أنَّ الموكل في عقد الوكالة يملك مثل هذا الحقّ (مكارم الشيرازي، مج 1، ص 517-518؛ معرفت، ص 90؛ الخطيب، ص 275-286)؛ ثالثًا، بحسب الرأي المشهور لدى أهل السنة، تثبت الحاكمية بعد بيعة أهل الحلّ والرّبط، لكنّ في النظام الديمقراطيِّ، هنالك حقٌّ لكلِّ فرد من أفراد الشعب. من هنا، فإنّ لدى الحاكم في هذا النظام مسؤوليةً تجاه جميع أبناء الشعب، أمّا في البيعة فهو مسؤول فقط أمام أهل الحلّ والرّبط (الخطيب، ص 286-292)؛ رابعًا، لا دليل على أنَّ بيعة الأكثرية ملزمة للأقلية التي لا تُبايع (← الحائري، 1414هـ، ص 198-213). يعترف عبد المجيد في أثناء مقارنته بين البيعة ونظرية العقد الاجتماعيِّ بوجود فوارق بينهما؛ من ذلك أنَّ أصل مشروعية الدولة في النظام كان أمرًا إلهيًّا، وليس ناجمًا عن البيعة، وإلّا هو فقط طريقة لإيجاد الحكم الذي يتحقّق بالبيعة، وهو مشابه للأنظمة الديمقراطية (ص 347-349). مع

ذلك كله، لم يشرح بوضوح الدليل على أن هذه المشروعية إلهية، في الحكومة التي تتشكل بواسطة البيعة.

على الرغم من أن معظم فقهاء الإمامية المعاصرين، لا يقولون إلا بالدور التأكيدي للبيعة في زمن الإمام المعصوم عليه السلام، يرى بعضهم في شرحه لكيفية أعمال ولاية الفقهاء في عصر غيبة الإمام المعصوم، أن للبيعة دوراً أرفع من مجرد التأييد، أي نوع من الجانب الإنشائي التأسيسي. علماً أن بعض الفقهاء، لم يُجروا تفكيكاً بين البيعة في زمان حضور المعصوم، وفي زمان الغيبة (← مكارم الشيرازي، مج1، ص 519). فضلاً عن ذلك، يعتقد بعض الفقهاء المعاصرين، بنوع من تحقق الولاية والمشروعية الشعبية للبيعة في عصر الغيبة. وعدد محدود منهم (من بينهم منتظري، مج1، ص 575-576) عدّوا البيعة عقد وكالة مُلزم، موضوعه إنشاء الولاية، وإعطاء السلطة، وعلى هذا الأساس يرون أن انتخاب الأكثرية وبيعتهها ملزمٌ ونافذٌ، حتى على الأقلية التي لا تُتابع. أُخضع تفسير البيعة بأنها عقد وكالة، وكذلك إلزامية مثل هذا العقد للمناقشة والانتقاد (مكارم الشيرازي، مج1، ص 517-518؛ معرفت، م. ن، ص. ن).

من ضمن الأدلة المعتمدة لإثبات حصول الولاية بالبيعة، فضلاً عن الأحاديث المستلّة من نهج البلاغة، هنالك روايات تحذّر من نقض البيعة (نكث الصفقة ← الكليني، مج1، ص 405؛ المجلسي، مج2، ص 266، مج27، ص 67-73، مج64، ص 181-188؛ منتظري، مج1، ص 78، 525-529)، وفراق الجماعة (← الكليني؛ المجلسي، م. ن، صص. ن). أحياناً كان يُستند كذلك لإثبات هذه النظرية، وأن بيعة الأكثرية مُلزمة لجميع الناس، على سيرة المعصومين عليهم السلام، وسيرة المسلمين، وسيرة العقلاء (منتظري، ص 574-576؛ آصفي، ص 92-95).

في المقابل ناقش عددٌ من الفقهاء الأدلة المعتمدة، ففي نظرهم نقض بيعة حكام الباطل والجور جائزة حكماً، وأئمة الشيعة عليهم السلام- الذين طالما كان أتباعهم وشيعتهم أقلية- ما كانوا يحسبون البيعة لأولئك الحكام صحيحة. من هنا قال البعض إنهم "جماعة أهل الحق"، وذلك استناداً إلى أحاديث أخرى (← المجلسي، مج2، ص 265-267، مج27، ص 67)-، وفسّر البعض الآخر هذه الأحاديث، وكذلك الأحاديث المتعلقة بجرمة نكث البيعة، بأنها البيعة للإمام المعصوم، أو الحمل على التقية، أو الأمر بالتقية، أو حسبها نوعاً من أنواع المجادلة (الموسوي الخلخالي، ص 580-581؛ الحائري، 1399هـ، ص 166-168؛

نفسه، 1414هـ، ص 211؛ مكارم الشيرازي، مج 1، ص 519-524؛ منتظري، مج 1، ص 528). ممّا ذكره الحائريّ (1414هـ، ص 209-213) أنّ الأحاديث المعتمدة على الرّغم من أنّها يمكن أن تكون دالّةً بذاتها على ثبوت الولاية بالبيعة، لكنّها لا تستوجب نفوذ البيعة بالنسبة إلى الأقلية التي لم تُبايع؛ وهي فضلاً عن ذلك لم تكن موثوقة، حتى أن احتمال كون بعضها موضوعاً احتمالاً قوياً. كذلك فإنّ الاستدلال بأدلة وجوب الوفاء بالعقد والشرط (← منتظري، مج 1، ص 522؛ معرفت، ص 86) قد انتقد من بعض النواحي (← الحائريّ، 1399هـ، ص 164-165؛ نفسه، 1414هـ، ص 202-203؛ الموسويّ الخلخاليّ، ص 580).

فضلاً عن ذلك، نوقش موضوع الاستناد إلى سيرة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمّة عليهم السلام، وكذلك سيرة المسلمين، لإثبات دلالة البيعة على مشروعية الانتخابات، وتحقق ولاية الحاكم بالنسبة إلى عامّة الناس (← الحائريّ، 1414هـ، ص 199-209). يرى منتقدو النظرية المذكورة، أنّ البيعة لا تتيح سوى إمكانية إعمال الولاية للوليّ الفقيه، ووضعها موضع التنفيذ، لكنّ أساس مشروعية ولايته إلهية، ومُقرّة من الشارع (نفسه، 1399هـ، ص 173؛ الموسويّ الخلخاليّ، ص 579-581). يرى بعض هؤلاء الفقهاء (معرفت، ص 92-93)، أنّ مجرد انتخاب الشعب في نطاق الفقهاء- الذي هو في اعتقاد البعض (آصفي، ص 92-93) موجب انعقاد الولاية للفقيه، أو البيعة- لا يتنافى وكون تنصيب الفقيه إلهياً؛ فالفقيه وإن لم يكن يُنتخب على أساس النصّ الإلهي، لكنّ انتخابه يتمّ بناء على الأوصاف والشروط اللازمة للفقيه الحاكم التي وضعها الشارع، واتخذ الأمر شكلاً من أشكال التنصيب.

المصادر والمراجع: فضلاً عن القرآن؛ محمد مهدي آصفي، ولاية الأمر، طهران 1416هـ/1995م؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ط. طاهر أحمد الزاوي ومحمود أحمد الطناحيّ، القاهرة 1383-1385هـ/1963-1965م؛ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأوّل من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت 1391هـ/1971م؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ط. هاشم رسولي المحلاتي، قم [1379هـ]؛ ابن قدامة، المغني، بيروت 1403هـ/1983م؛ ابن منظور، لسان العرب، قم 1363ش [1984م]؛ محمد بن الطيّب الباقلانيّ، التمهيد في الردّ على الملجدة المعطّلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، ط. محمود الخضيريّ ومحمد عبد الهادي أبو ريّدة، القاهرة

1366هـ/1967م؛ محمد بن اسماعيل البخاريّ الجعفيّ، صحيح البخاري، اسطنبول

1401هـ/1981م؛ مصطفى بغا، بحوث في نظام الإسلام، دمشق 1403هـ/1983م؛ عبد

القاهر بن طاهر البغداديّ، كتاب أصول الدين، اسطنبول 1346هـ/1928م، ط. أوفست

بيروت 1401هـ/1981م؛ محمد تقي التستريّ، بهبج الصبّاعة في شرح نهج البلاغة، طهران [لا

تا.]؛ كاظم الحائريّ، أساس الحكومة الإسلاميّة: دراسة إستدلاليّة مقارنة بين الديمقراطيّة

والشورى وولاية الفقيه، بيروت 1399هـ/1979م؛ نفسه، ولاية الأمر في عصر الغيبة، قمّ

1414هـ؛ محمد بن الحسن الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ط. عبد

الرحيم ربّاني الشيرازيّ، بيروت 1403هـ/1983م؛ عبد الكريم الخطيب، الخلافة والإمامة،

بيروت 1395هـ/1975م؛ حسين بن محمد الراغب الإصفهانيّ، مفردات ألفاظ القرآن،

ط. صفوان عدنان الداوديّ، دمشق 1412هـ/1992م؛ وهبة مصطفى الزحيليّ، الفقه

الإسلاميّ وأدلّته، دمشق 1404هـ/1984م؛ محمود بن عمر الزمخشريّ، الكشاف عن غوامض

حقائق التنزيل، بيروت [لا تا.]؛ جعفر سبحاني، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة

والعقل، بقلم حسن محمد مكّي العامليّ، مج4، قمّ 1412هـ؛ نفسه، مفاهيم القرآن في معالم

الحكومة الإسلاميّة، قمّ 1364ش [1985م]؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيّوطيّ، تاريخ

الخلفاء، ط. محمد محيي عبد الحميد، مصر 1378هـ/1959م؛ محمد علي الشهرستانيّ،

مدخل إلى علم الفقه، لندن 1416هـ/1996م؛ جعفر شهيدي، "البّيعَة وكيفيّتها في التاريخ

الإسلاميّ"، كيهان انديشه [مجلة كيهان الفكرية]، العدد 26 (مهر وآبان 1368ش [ت1 و

ت2 1989م])؛ محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، بيروت 1390-

1394هـ/1971-1974م؛ فضل بن الحسن الطبرسيّ، جوامع الجامع في تفسير القرآن

المجيد، تبريز 1379هـ؛ نفسه، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط. هاشم رسولي المحلاتيّ

وفضل الله يزدي الطباطبائيّ، بيروت 1408هـ/1988م؛ محمد بن جرير الطبريّ، تاريخ

الطبريّ: تاريخ الأمم والملوك، ط. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت [1382-

1387هـ/1962-1967م]؛ أحمد فؤاد عبد الجواد عبد المجيد، البّيعَة عند مفكّري أهل السنة

والعقد الاجتماعيّ في الفكر السياسيّ الحديث: دراسة مقارنة في الفلسفة السياسيّة، القاهرة

1998م؛ عليّ بن الحسين علم الهدى، الشّافي في الإمامة، مج2، طهران 1410هـ؛ عليّ بن

أبي طالب (ع)، الإمام الأوّل، نهج البلاغة، ط. صبحي الصالح، بيروت [تاريخ المقدّمة

1387هـ]؛ ط. أوفست قمّ [لا تا.]؛ حميد عنایت، انديشه سياسي در اسلام معاصر [الفكر

السياسي في الإسلام المعاصر]، ترجمه بالفارسيّة بهاء الدين خرمشاهي، طهران 1362ش
 [1983م]؛ نفسه، سیری در اندیشهٔ سیاسی عرب [رحلة في الفكر السياسي العربي]،
 طهران 1370ش [1991م]؛ محمد فاکر میبدي، "البیعة ودورها في الدولة الإسلامية"،
حکومت اسلامی مجلّة [الدولة الإسلامية]، السنة 2، العدد 3 (خريف 1376هـ)؛ خليل بن
 أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ط. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، قم 1405هـ؛ أحمد
 بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، بيروت [لا تا.]؛ ظافر
 القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، مج 1، بيروت 1405هـ/1985م؛ محمد
 بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج 9، ج 18، القاهرة 1387هـ/1967م؛ ط.
 أوفست طهران 1364ش [1985م]؛ أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي، لندن
 1997م؛ محمد بن الحّي بن عبد الكبير الكتّاني، نظام الحكومة النبوية المسمّى التراتيب
 الإدارية، بيروت [لا تا.]؛ محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ط. علي أكبر الغفاري، بيروت
 1401هـ؛ علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت
 1410هـ/1990م؛ محمد باقر بن محمد تقی المجلسي، بحار الأنوار، بيروت
 1403هـ/1983م، مج 29-30، ط. عبد الزهراء علوية، بيروت [لا تا.]؛ علي بن الحسين
 المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط. محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر 1384-
 1385هـ/1964-1965م؛ محمد حسن المظفر، دلائل الصدق، بيروت [لا تا.]؛ محمد
 هادي معرفت، ولاية فقيه [ولاية الفقيه]، قم 1377ش [1998م]؛ لويس معلوف، المنجد
 في اللغة والأعلام، بيروت 1973-1982م؛ ط. أوفست طهران 1362ش [1983م]؛
 محمد بن محمد المفيد، الإرشاد، قم [لا تا.]؛ ناصر مكارم الشيرازي، أنوار الفقاهة: كتاب
 البیع، ج 1، قم 1411هـ؛ حسينعلي منتظري، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية،
 قم 1409-1411هـ؛ محمد مهدي الموسوي الخلخالي، حاكمت در اسلام [الحاكمية في
 الإسلام]، طهران 1361ش [1982م]؛

EI² ; s.v. "Bay ^a" (by E. Tyan).

/السيد رضا الهاشمي/

بَيْعَةُ الرضوان، اسم بَيْعَة جماعة من الصحابة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
 والمعروفة أيضاً باسم البَيْعَة تحت الشجرة.

في السنة السادسة للهجرة، خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من المدينة، ترافقه مجموعة من أصحابه، لا يحملون سوى السيوف في أغمادها، يتراوح عددهم من ألف وأربعمائة إلى ألف وستمائة، لزيارة بيت الله الحرام وأداء مناسك العمرة (ابن سعد، مج2، ص95؛ الطبري، مج2، ص620-621؛ أبو الفتوح الرازي، مج17، ص337)، حين وصلوا إلى الحُدَيْبِيَّة، قرية على بعد منزلة من مكة وتسع منازل من المدينة (ياقوت الحَمَوِي، مج2، ص222)، قطع عليهم المكيّون الطريق، ومنعواهم من متابعة السير إلى مكة. أوفد النبيّ أوّل الأمر إلى مكة رجلاً يُسمّى خراش، أركبه ناقته، ليقولَ لزعمائها إنّ المسلمين لم يأتوا محاربين، وإنّما يريدون زيارة بيت الله الحرام، ثم يعودون؛ لكنّ المكيّين تعقبوا ناقه النبيّ، وكان هدفهم قتلَ خراش، فحال بعضهم دون ذلك، وعاد خراش. فأرسلَ إليهم النبيّ عثمان بن عفّان (رض)، ولما تأخّرت عودته، أُشيع أنّ المكيّين قد قتلوه. فجمع الرسول أصحابه، وبايعه هؤلاء على أرواحهم. انعقدت هذه البيعة تحت شجرة (شجرة سُمره). عرف المسلمون بعد ذلك أنّ عثمان لم يُقتل، ومن ناحية أخرى، صالح مبعوثو مكة النبيّ في الحُدَيْبِيَّة، وكان القرار أن يعود هذا العام إلى المدينة، ويزور مكة في العام الذي يليه (← الحُدَيْبِيَّة* صلح؛ ابن سعد، مج2، ص95-97؛ ابن هشام، مج2، ص781-782؛ الطبري، مج2، ص631-632؛ حسن ابراهيم حسن، مج1، ص127؛ أبو الفتوح الرازي، مج17، ص336-337).

ذُكرت هذه الحادثة في القرآن في الآية 18 من سورة الفتح، ومن هذه الآية استُمدَّ الاسم بيعة الرضوان وبيعة الشجرة: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا. اشتهر المبايعون بعد ذلك بأصحاب الشجرة. هنالك مسجدٌ كان قائماً في الموضع الذي عُقدت فيه هذه البيعة (ابن سعد، مج2، ص99-101).

المصادر والمراجع: فضلاً عن القرآن؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت 1405هـ/1985م؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ط. سهيل زكّار، بيروت 1412هـ/1992م؛ حسين بن عليّ أبو الفتوح الرازي، روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، ط. محمّد جعفر ياحقّي ومحمّد مهدي ناصح، مشهد 1365-1375ش [1986-1996م]؛ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام: السياسيّ والدينيّ والثقافيّ والاجتماعيّ، مج1، القاهرة 1964م، ط. أوفست بيروت [لا تا.]. محمّد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الأمم

والمملوك، ط. محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت [1382-1387هـ/1962-1967م]؛
ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، ط. فرديناند ووستنفلد، لايبزيغ 1866-1873م، ط.
أوفست طهران 1965م.

/السيد جعفر شهيدى/

بَيْعَةُ الْعَقْبَةِ. اسم البيعتين اللتين بايع بهما أهل يثرب النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.
العقبة هي الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه، والمرقى الصعب من الجبال. الموضع الذي
بويح فيه النبيّ مرتين، وهي عقبة بين منى ومكة، قرية من منى وبعد واقصة، وفيها ماء لبني
عكرمة، بينها وبين مكة نحو ميلين [خمسة كيلومترات] (ياقوت الحمويّ، مج3، ص
692-693).

بوفاة أبي طالب وخديجة في السنة السابعة من البعثة النبوية، فقد النبيّ من ناحية
الحامي والمعين، ومن ناحية أخرى، اشتدّ أذى المشركين عليه (الطبري، مج2، ص 343-
344؛ ابن هشام، مج1، ص 280؛ حسن ابراهيم حسن، مج1، ص 91). في السنة الحادية
عشرة للبعثة التقى النبيّ ستة من أهل يثرب (المدينة). قال البعض إنّ موضع هذا اللقاء كان
بالقرب من تلك العقبة (ياقوت الحمويّ، مج3، ص 693؛ الطبري، مج2، ص 353؛
حسن ابراهيم حسن، مج1، ص 94؛ ابن سعد، مج1، ص 218؛ ابن هشام، مج1، ص
289؛ البلاذريّ، مج1، ص 275)، وقال آخرون في منى (ابن سعد، م. ن، ص. ن). كان
هؤلاء الستة من الخزرج (قارن ياقوت الحمويّ، م. ن، ص. ن). سألم النبيّ عن هويتهم،
فقالوا له إنّهم من الخزرج؛ سألم النبيّ، أنّتم من حلفاء اليهود ومعاهديهم، فقالوا نعم.
فأخذ النبيّ يحاورهم، ودعاهم إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن وعرض عليهم أن يمنعوه. كان
ما سمعه أهل يثرب من اليهود عن قرب ظهور نبيّ في مكة، قد لفت انتباههم إلى النبيّ
[فقالوا: هذا والله النبيّ الذي تعدنا به اليهود، يجدونه مكتوباً في توراتهم]، وقد ولد ذلك
الأمل لديهم في أن يضع حلوله بين ظهرانيتهم حدّاً للعداء بين الأوس والخزرج (للاطلاع على
الحرب بين القبيلتين ← بُعث*). حين عادوا إلى يثرب ذكروا أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فأجابهم ناس وفشا فيهم الإسلام.

في السنة الثانية عشرة من البعثة النبوية وافى موسم الحج منهم اثنا عشر رجلاً، هؤلاء
الستة وستة آخرون، من سبعة بطون من الأوس والخزرج، التقوا النبيّ في العقبة، فأمنوا

وأسلموا وبايعوا النبيّ على أن لا يشركوا بعبادة الله أحداً، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا بالبهتان، وأن يطيعوا الرسول لما فيه خيرٌ لهم؛ فإن وفوا بهذه البيعة فإن الجنة مأواهم، وإن نقضوها، فعلى الله حسابهم، إما أن يغفر لهم، أو يعذبهم. أُطلق على هذه البيعة اسمُ بيعة النساء (حسن ابراهيم حسن، مج1، ص 94-95؛ البلاذريّ، مج1، ص 275-276؛ ابن هشام، مج1، ص 289-291، 293؛ ابن سعد، مج1، ص 220؛ الطبريّ، مج2، ص 353-357). هنالك من قال إن هذه البيعة قد سُمّيت بيعة النساء لأن عفراء ابنة عبيد بن ثعلبة كانت في عداد المُبايعين، وكانت أول امرأة تباع النبيّ (حسن ابراهيم حسن، مج1، ص 95). لكن، يبدو أن تخريج هذه التسمية على هذا النحو، لا أساس له من الصحة، فلم يكن من ضمن هذه المجموعة نساء، ولكن بما أن البيعة نصّت أن يكون النبيّ واحداً منهم، سُمّيت البيعة بيعة النساء. لكنّ الأصحّ أنّها سُمّيت كذلك، على ما يبدو، لأنّها نصّت على أن لا تقع حربٌ بين المسلمين والكفار، ولأنّ الحرب من شؤون الرجال، سُمّيت بيعة النساء (السهيليّ، مج4، ص 70). بعد هذه البيعة بعث رسولُ الله مُصعبَ ابنَ عمير معهم ليعلمهم القرآن (الطبريّ، مج2، ص 357؛ ابن سعد، م. ن، ص. ن؛ ابن هشام، مج1، ص 293؛ البلاذريّ، مج1، ص 276؛ حسن ابراهيم حسن، م. ن، ص. ن).

ذكر بعض المؤرّخين أن إرسال مُصعب كان بعد بيعة العقبة الثانية (البلاذريّ، مج1، ص 277). في موسم الحج، في السنة الثالثة عشرة من البعثة، اجتمع في العقبة سبعون رجلاً أو اثنان وسبعون رجلاً وامرأتان. وحضر العباس عمّ النبيّ معه، فقال للمجتمعين: إنَّ محمداً منّا حميناه ما في وسعنا، وهو يريد الآن أن يأتي إليكم. فإن كان باستطاعتكم حمايته فحسناً، وإلاّ فخلّوه بيننا. قالوا: نحن نبايعه ونعاهده، نحارب من حاربه ونسلم من سلمه، لذا سُمّيت هذه البيعة بيعة الحرب. بعد هذه البيعة اختار النبيّ من بينهم اثني عشر رجلاً جعلهم نقباء عليهم (حسن ابراهيم حسن، مج1، ص 96-98؛ البلاذريّ، مج1، ص 277-278؛ ابن سعد، مج1، ص 221-222؛ الطبريّ، مج2، ص 362-363؛ ابن هشام، مج1، ص 300-301). أصبحت هذه البيعة مقدّمة هجرة النبيّ إلى يثرب.

المصادر والمراجع: ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت 1405هـ/1985م؛ ابن هشام، السيرة النبويّة، ط. سهيل زكار، بيروت 1412هـ/1992م؛ أحمد بن يحيى البلاذريّ، كتاب جمل من أنساب الأشراف، ط. سهيل زكار ورياض الزركليّ، بيروت 1417هـ/1996م؛ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام: السياسيّ والدينيّ والثقافيّ

والاجتماعي، مج1، القاهرة 1964م، ط. أوفست بيروت [لا تا.].؛ عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ط. عبد الرحمن وكيل، القاهرة 1389هـ/1969م؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ط. محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت [1382-1387هـ/1962-1967م]؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط. فرديناند ووستنفلد، لايبزيغ 1866-1873م، ط. أوفست طهران 1965م.

/السيد جعفر شهيدى/

البيعة، بالكسر، مركز عبادة أهل الكتاب [كنيسة النصارى، وقيل كنيسة اليهود]. وردت هذه اللفظة مرّة واحدة في القرآن (الحج: 40)، بحالة الجمع: بيع. ذكرها السُّيوطي (الإتقان، مج2، ص 131) في عداد الألفاظ القرآنية غير العربية، وذكر الجواليقي (ص 81)، أنّ هنالك من يعدّ لفظة البيعة من الفارسيّ المعرّب، لكنّ الجفريّ (ص 150)، ردّ هذا الرأي، مدّعياً أنّ سريانيتها واضحة. فهو يقول إنّ الأصل السريانيّ للفظة البيعة بمعنى "البيض" (قارن لفظة البيض العربيّة بمعادلتيها العبريّي والآراميّي)، واستُخدمت بعد ذلك مجازاً اسماً للجزء الأعلى من القناطر الدائريّة، وكذلك اسماً لمراكز العبادة ذات القباب.

فسرّ علماء اللغة وأصحاب المعاجم لفظة البيعة، والتي ورد جمعها أيضاً بيعات وبيعات، في معظم الأحيان بمعنى مركز عبادة النصارى أو الكنيسة، علماً أنّهم قالوا أيضاً إنّها معبد اليهود. عدّها البعض أيضاً مرادفاً للفظة الكنيسة*، وأنها أُطلقت في الأصل على جميع معابد اليهود والنصارى، علماً أنّ المشهور أنّ الكنيسة اسم خاصّ بمعبد اليهود (الجرجانيّ؛ ابن منظور؛ الشرتونيّ؛ صفى بوري؛ البستانيّ؛ دوزي، المادة نفسها).

نقل المفسّرون أقوالاً مختلفة حول البيعة في أثناء تفسيرهم لآية "... لَهُدُمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ..." (الحجّ: 40)، التي هي جزء من آيات الجهاد، من هذه الأقوال: البيعة معبد اليهود، كما أنّ الصومعة معبد النصارى، مع الفارق أنّ الصومعة تُبنى في الصحراء والبيعة في الحضر؛ وعلى العكس فالصومعة المشتركة بين اليهود والنصارى والمسلمين، هي خاصّة بالنصارى؛ كما أنّ الصومعة والصلاة (مفرد صلوات) تعبّران عن المسجد؛ هي اسم المعبد في شريعة موسى عليه السلام؛ هي اسم المعبد في شريعة عيسى عليه السلام (← الطبرسيّ؛ الطوسيّ، التبيان؛ أبو الفتوح الرازيّ؛ السُّيوطيّ، الدرّ المنثور، الآية نفسها).

لم يُجزِ فقهاء الإمامية إقامة البيع وغيرها من معابد أهل الكتاب في البلدان الإسلامية، أو في البلدان التي فتحها المسلمون حرباً. إنّما أجازوا ضمن شروط الإبقاء على هذه المعابد وترميمها في البلدان التي فُتحت صلحاً (النجفيّ، مج2، ص 280-284؛ المحقق الحلّيّ، مج1، ص 331؛ الطوسيّ، المبسوط، مج2، ص 45-46). فقهاء أهل السنة أيضاً متفقون على أن إنشاء بيعة أو كنيسة وما شابه لأهل الذمة في البلاد الإسلامية غير جائز، أمّا ترميمها فـجائز (الزحيليّ، مج6، ص 448). وردت في الكتب الفقهية في باب الوقف أيضاً أحكام حول البيعة والمعابد الأخرى لغير المسلمين. من ناحية أخرى حسب عدم التعرّض لمعابد أهل الذمة حقاً من حقوقهم (م. ن، مج6، ص 450).

كانت لفظة البيعة متداولة قبل الإسلام، وعُثر عليها في الكتابات الأثرية في جنوبية شبه الجزيرة العربية، واستُخدمت مرّات عدّة في الشعر الجاهليّ (جفري، م. ن، ص. ن). وصف ناصر خسرو أيضاً في مدوّنة رحلته [سفرنامه] (ص 62-63) كنيسة تسمّى بيعة القمامة [= كنيسة القيامة] في بيت المقدس، يعظّمها النصارى كثيراً، ويأتي لزيارتها سنويّاً الكثير من الناس من بلاد الروم، ويقضي فيها القسيسون والرهبان الأيام والليالي في قراءة الإنجيل والصلاة والعبادة.

المصادر والمراجع: فضلاً عن القرآن؛ ابن منظور، لسان العرب، ط. علي شيري، بيروت 1412هـ/1992م؛ حسين بن عليّ أبو الفتوح الرازيّ، روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، ط. محمّد جعفر ياحقيّ ومحمّد مهدي ناصح، مشهد 1365-1375ش [1986-1996م]؛ بطرس البستانيّ، محيط المحيط: قاموس مطوّل للغة العربية، بيروت 1867-1870م؛ عليّ بن محمّد الجرجانيّ، ترجمان القرآن، ط. محمّد دبير سياقي، طهران 1360ش [1981م]؛ آرتور جفري، واژه‌های دخیل در قرآن مجید [الألفاظ الدخيلة في القرآن الكريم]، ترجمه بالفارسية فريدون بدره اي، طهران 1372ش [1993م]؛ موهوب بن أحمد الجواليقيّ، المعرب من الكلام الأعجميّ على حروف المعجم، ط. أحمد محمّد شاكر، ط. أوفست طهران 1966م؛ راينهارت پيترآن دوزي، تكملة المعاجم العربية، ترجمه بالعربية محمّد سليم النعيميّ، العراق 1978م؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، وهبة مصطفى الزحيليّ، الفقه الإسلاميّ وأدلّته، دمشق 1404هـ/1984م؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، ط. محمّد أبو الفضل ابراهيم، قم 1363ش [1984م]؛ نفسه، الدّر المنتور في التفسير بالمأثور، بيروت [لا تا.ا]؛ سعيد الشرتونيّ، أقرب

الموارد في فصح العربية والشوارد، قم 1403هـ؛ عبد الرحيم بن عبد الكريم صفى بوري،
 منتهى الأرب في لغة العرب، ط. حجرية طهران 1297-1298هـ، ط. أوفست طهران
 1377هـ؛ فضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط. هاشم رسولي
 الخلاتي وفضل الله يزدي الطباطبائي، بيروت 1408هـ/1988م؛ محمد بن الحسن الطوسي،
التيبان في تفسير القرآن، ط. أحمد حبيب قصير العاملي، بيروت [لا تا.ا]؛ نفسه، المسوط في
فقه الإمامية، مج 2، ط. محمد تقي الكشفي، طهران 1387هـ؛ محمد بن عمر الفخر الرازي،
التفسير الكبير، القاهرة [لا تا.ا]، ط. أوفست طهران [لا تا.ا]؛ جعفر بن الحسن المحقق الحلبي،
شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، ط. عبد الحسين محمد علي، النجف
 1389هـ/1969م؛ ناصر خسرو، سفرنامه حكيم ناصر خسرو قبادياني مروزي [رحلة
 الحكيم ناصر خسرو القبادياني المروزي]، ط. دبير سياقي، طهران 1363ش [1984م]؛
 محمد حسن بن باقر النجفي، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ط. الشيخ عباس
 القوجاني، بيروت 1981م.

/مالك الحسيني/

البيك، مسجد، مبني في إسطنبول، يعود إلى القرن العاشر الهجري. يقول حسين أفندي إيوان سرايي، أن باني هذا المسجد هو محمد بيك سلحشور، الموجود ضريحه أيضاً بالقرب من هذا المسجد، ويضيف أن هذا المسجد كان يُسمى أيضاً مسجد صراحي، لكن اسماعيل بيك زادة عثمان وخليل أدهم سميا هذا المسجد: مسجد محمد بيك صلاححي. ليس في المتناول معلومات عن تاريخ بناء هذا المسجد وعن بانيه، لكن يُستنتج من طراز بنائه وخصائصه المعمارية، أنه يعود إلى القرن العاشر الهجري؛ ولما يتمتع به هذا المبنى الصغير من تنظيم بنيوي ممتاز ودقة في الصنع، نُسب بناؤه إلى سنان [أشهر المعمارين الأتراك]، لكن اسم هذا المسجد لم يرد في فهرس آثار سنان.

في العام 1346هـ/1928م صُنّف مسجد البيك ضمن المباني المهذّمة، ولم تفلح قيمته الفنية في إدراجه ضمن لائحة المساجد التي يجب أن تتم المحافظة عليها. ظلّ هذا المسجد سنين عديدة خربة لا سقف له، إلى أن أعيد ترميمه وإحيائه في العام 1389هـ/1970م.

عائِنَ أكرم كوتشو¹ المسجد في العام 1380هـ/ 1961م، فأشادَ بجماله، وأوصى بضرورة ترميمه. صحنُ المسجد مرتفع عن مستوى الشارع المحاذي له من الأمام. جدرانه مربّعة، ومبنية بالحجارة المربّعة وبالأجر، أمّا مدخله فمن خلال صحنٍ بأبه يُفتح على الشارع، ويجب اجتياز عدّة درجات للوصول إليه. بجانب هذه الدرجات، مئذنة صغيرة منفصلة عن الجدار. بمحاذاة المسجد رواقٌ مستطيل الشكل مقابل مدخل مقبرة مربّعة. ومن خلال هذا الرواق يتمّ الدخول إلى محوطة المسجد الرئيسيّة. هذا المسجد بالظلة والمقبرة، وطرز مئذنته، نادر المثال في الفنّ [المعماريّ] التركيّ. لمئذنته المشيّد على العكس من السائد، مقابلَ جدار القبلة، واجهةٌ جميلة ودقيقة الصنع. هذه المئذنة، كالمسجد نفسه مبنية بالحجارة المربّعة الزوايا وبالأجر. كان مسجد البيك يتضمّن مقبرةً، وأشجاراً في محيطه.

المصادر والمراجع: حسين إيوانسرايي، حديقة الجوامع، اسطنبول 1281هـ، مج1، ص 280؛ إسماعيل بيك زادة عثمان بيك، مجموعه جوامع [مجموعة المساجد]، اسطنبول 1304هـ، مج2، ص 2؛

.... أجنبِيّ

.....

للاطلاع على صورة كاملة للمصادر ← د. أ. د. التركية، المادة نفسها.

/سماوي إيبيجة، ملخصاً من (د. أ. د. التركية)/

البيك والبيغم، صفتان أو لقبان تركيّان.

1) البيك (بيك/بك بالفتح والكسر، وأيضاً بالكاف الفارسيّة؛ اليوم "بي" bey). هذه الكلمة هي الصورة النهائيّة للقبِ قديم في اللغة التركيّة العثمانيّة، وهو في التركمانيّة beg، وفي التركيّة الشرقيّة big، وفي القوزاقية bi/biy. هذا اللقب يُشاهد أيضاً في الكتابات الحجريّة الأورخونيّة، وفي النصوص الأويغوريّة، ويُستخلص من المصادر الشرقيّة والغربيّة قبل الإسلام، وبعده أيضاً، أنّه كان متداولاً في أوساط القبائل والحكومات التركيّة، ومن المؤكّد أنّ له ارتباطاً من حيث الاشتقاق بلقب "بغي" begi المغوليّ، و"بوغين" bögin الشيشنيّ، و"بيله" beyle المنشويّ. يدّعي فريقٌ من علماء اللغات من بلوشه² (مج12، ص 92) وحتى

¹ - R. Ekrem Koçu.

² - E. Blochet

كوتويتش¹، أنه مأخوذ من اللقب الصيني القديم "بك"؛ لكن في المقابل يرجح عدد من المحققين أن هذه اللفظة هي نفسها "بغ" (الفارسية القديمة: "بگه"؛ السنسكريتية: "بهاگا")؛ البهلوية: "بي، bē"، اللقب الذي كان يُطلق على الملوك الساسانيين بمعنى السيد، والرب ← بروكلمان، ص 223). في كل الأحوال، إن الأتراك هم على الأرجح أول من استخدم هذا اللقب، وأخذته عنهم الشعوب الآلتائية الأخرى. يمكننا تلخيص المعاني الأساسية لهذه اللفظة في مرحلة حكم ال "غوك- الأتراك" (الأتراك القدماء) على النحو التالي: أ) لقب رؤساء القبائل الصغيرة، أو رؤساء المجموعات الكبرى المتشكلة من القبائل الصغيرة، وهذا اللقب أدنى مرتبة من لقب "الخان"، أو "قاغان" [قآن/حاقان]، ونحن نعلم أن سلطان الغوك- الأتراك، كان قد منح بارس بيك (برسباي)، رئيس القرقيزيين لقب "قاغان". ب) مفهوم "بي لر" (جمع بيك = البكوات)، في الكتابات الحجرية الأرخونية، يعبر عادة عن الطبقة الممتازة والعريقة، التي تختلف عن طبقة عامة الشعب (بودون)². بهذا المعنى يندرج تحت لقب "بي" جميع أمراء العائلة المالكة أيضاً. ج) كل واحد من ذوي النفوذ وأصحاب المناصب الكبار والصغار، أي الموظفون، يُمنح أيضاً هذا اللقب. هؤلاء، على الرغم من ذكرهم في بعض عبارات الكتابات الحجرية، منفصلين عن عامة الشعب والبكوات، لكن في بعض الأماكن ذكروا بمعنى "الموظفين البكوات" (نصوص الكتابات الحجرية وترجماتها، التي نُشرت بجهود تامسن ورودولف). توجد هذه الكلمة بهذه المعاني نفسها لدى الأويغوريين ← النصوص المنشورة بفضيل مولر، وبنغ وآخرين)، بناء على ما كتبه ابن فضلان*، وكتابات كونستانتينوس بورفيريوغنتوس³، كان هذا اللقب موجوداً في أوساط الخزر ← نيمث غيولا⁴، ص 212). كان هذا اللقب على الأرجح موجوداً أيضاً في أوساط البلغاريين الأوائل (البدو) ← كادل⁵، ص 68).

حافظ الأتراك بعد إسلامهم، ودخولهم حياض الحضارة الإسلامية، على هذا اللقب بمعناه ومضمونه السابقين. كان الموظفون الحكوميين القراخطيون، ذوو المقام الرفيع يستخدمون هذا اللقب أيضاً (مثلاً محمود بيك نائب علي تغين حاكم سمرقند؛ البيهقي، مج 1، ص 420). كان الأوغوز الأوائل، مؤسسو دولة السلاجقة، لا يحملون في البداية سوى لقب البيك ← طغرل بيك*). نرى في المصادر التاريخية بشكل واضح، أن زعماء الأوغوز والقرلوق كانوا يحملون في القرنين الخامس والسادس الهجريين لقب "البيك" (لاشين بيك، طوطي بيك،

¹ - W. kotwicz

² - Budun

³ - Konstantinos porphyrogenetos

⁴ - Nemeth Gyula

⁵ - K. Kadlec

وأمثالهما). كان لكلمة "بكتش" المتداولة في أوساط القراخانيين في القرن الخامس الهجري أيضاً، كما ذكر محمود الكاشغري (مج1، ص 297 وما بعدها)، صلةً بكلمة "بك"، وهي تصغيرٌ لها. كان توقّر (أو تَقَر) بيك الكاشغري، الذي استوزره السلطان سنجر لمدةً وجيزة، كما يتّضح من لقبه (بيك)، من العرق التركيّ الأصيل.

منذ عهد السلاجقة العظام، نرى بين الحكومات التركيّة المختلفة، لقب "البيك" معادلاً للقب "الأمير" العربيّ؛ مثلاً بدلاً من أمير الجيوش "جيوش بيكي" [بيك الجيوش]؛ وبدلاً من أمير العطاء "داد بيكي"، وبدلاً من أمير الأمراء "بيكلربيكي". وعلى الرغم من المحافظة في المؤسسات الإداريّة، بتأثير من التقاليد الإداريّة القديمة، على المصطلحات القديمة العربيّة والفارسيّة، بدأ استخدام الأسماء والألقاب التركيّة إلى جانب هذه المصطلحات، ويمكننا عدّ ذلك دليلاً على تأثير اللغة المحكيّة إلى حدّ ما في اللغة الرسميّة، وحسابه أحد السمات الخاصّة بعصر السلاجقة الكبار. تزايدت قوّة هذا التأثير في عصر الإيلخانيين وآتون أردو [= المعسكر الذهبي]، وشاع استعمال لقب البيك بدلاً من الأمير (مثل أولوس بيكي، تومن بيكي، مين بيكي، يوزبيكي، وأون بيكي).

نلاحظ، فضلاً عن الألقاب: خاقان*، وخان*، وسلطان* التي كانت متداولة لدى السلالات الكبيرة مثل القراخانيين والسلاجقة، أنّ عدداً من الحكام التابعين للسلالات الصغيرة والأمراء، كانوا يستخدمون لقب الأمير والبيك؛ ومن المعلوم أنّ الحكام العثمانيين الأوائل، وأمراء الأناضول والقراقوينلوين والآق قوينلوين استخدموا هذا اللقب أيضاً (نعلم من خلال مدوّنّة الدستور: دستورنامة للأنوزي أنّ آيدين أوغوللاري [= بنوآيدين]، كانوا يمنحون قادتهم الكبار لقب أولوبيك [= البيك الكبير]، وفي القرن الثامن الهجري، كان لقب البيك متداولاً لدى بعض السلالات كالجلائريين؛ حتى أنّنا نلاحظ أنّ فاتحاً كبيراً كتيّمور [تيمورلنك]، لم يستخدم لقب الخان الخاصّ بسلالة جنكيز، وفضّل لقب الأمير أو البيك.

في القرن التاسع الهجري، في المناطق التي كان يحكمها أولاد تيمور، وفي الحكومات التركمانيّة، كان الأتراك الأقحاح، ورؤساء القبائل يُمنحون لقب بيك، أو معادلّه العربيّ أي "الأمير" أو "المير"؛ مع الفارق أنّ اللقب التركيّ كان يذكر في آخر الاسم، واللقب العربيّ في أوّله مثل "ميرعليشير"، أو "عليشيربيك"، لكنّ في الحالات التي لم تكن فيها لفظة البيك لقباً وإثماً جزء من اسم علم مركّب، كانت تأتي في معظم الأحيان في أوّل الاسم، مثل "بيك تكين" و "بيك تيمور". وهذه القاعدة نفسها كانت تُراعى في الكلمات التي تُستخدم فيها

كلمة "باي" بمعنى "المقتدر" مثل بايتوز وبايقرا وبايبرس (بَيْرَس) [← باي*]. في الهند كان أعقاب الأتراك- المغول، أي المتحدرون من الأرستقراطية العسكرية، يضيفون لقب بيك إلى أواخر أسمائهم للدلالة على أصلاتهم، كما تلاحظ بكثرة في بلاطات الحكام الأتراك في الهند كلمة "خانم" (خانيم)، مؤنث الخان، و "بيغيم = بيگيم" مؤنث "بيگ = بيك" [← بابرنامج* [تاريخ بابر، وتتمة المقالة]. مع ذلك استخدمت كلمة "بيك" كذلك جزءاً من أسماء السيدات مثل "ساتي بيك خان" ابنة الحاكم الإيلخانيّ أوجلجيتو. الشاهد الآخر على هذا النحو من الاستعمال، اسم "بيك خان"، الذي كان متداولاً منذ زمن بعيد لدى أتراك الأناضول.

في العصر الصفويّ فقد لقب "بيك" أهميته السابقة، فالسلاطين الصفويّون استخدموا لقب "الشاه"، وكانوا يمنحون كبار أمراءهم لقب السلطان أو الخان، يبعون من وراء ذلك الخطّ من قدر ألقاب السلاطين العثمانيين وخوانين آسيا الوسطى، الذين كانوا يُعدّون أعداءهم السياسيّين. حين كان يحين وقت ترقية رؤساء القبائل وكبار الموظفين الذين كانوا يحملون لقب البيك، يُمنحون لقب السلطان، وبعده لقب الخان (← أحسن التواريخ و عالم آراى عباسى وغيرهما من مصادر العصر الصفويّ). في الدولة العثمانيّة كان زعماء القبائل وكبار الموظفين العسكريّين وغير العسكريّين، وأبناء الشخصيات الرسميّة البارزة يُمنحون لقب "بيك". مع ذلك، حافظ لقب بيكلربيك* [بيك البكوات = أمير الأمراء] لعدّة قرون، على الأهميّة التي كانت له في عصر سلاجقة الأناضول والإيلخانيين؛ واستمرّ أيضاً بعد عصر التنظيمات (عصر الدستور = الإصلاحات الإداريّة والثقافيّة والأديبيّة في عصر عبد المجيد في العام 1255هـ/1839م)، رتبة تأتي بعد "الوزير" وال "بالا [الرفيع]"، إلى أن أُلغيت المناصب غير العسكريّة. كانت كلمة بَكلِكْجِي (بيكلربيكجي) بمعنى رئيس الديوان موجودة في المؤسّسات الإداريّة العثمانيّة، حتى القرن الثالث عشر الهجريّ/التاسع عشر الميلاديّ، وإلى حدّ علمنا بقيت حرفة "بكلِكْجِيلِيك" الديوان الهمايونيّ [السلطانيّ] في إدارة صدارة الحكومة المركزيّة، جزءاً من الوظائف الكبرى إلى حين سقوط السلطنة.

كانت كلمة بيك منذ قرون خلت مستخدمةً لقباً في أوساط رؤساء القبائل الكرديّة، مستوحاةً من الأتراك (← شرف خان البديسيّ)، شرفنامه [تاريخ شرف]، وتسربت بعد قيام الدولة العثمانيّة إلى مختلف لغات البلقان (← لو كوتش¹، ص 24). في أواسط القرن الثالث

¹ - Karl Lokotsch.

عشر الهجري، كان يوجد في المؤسسة العسكرية القاجارية أصحاب مناصب يحملون لقب "بيك زادة"، كان تحت إمرتهم قادة مجموعات المائة نفر، يحملون لقب "سلطان" (سروان). كان أصحاب المناصب هؤلاء لانتسابهم إلى العائلات الكبيرة، يحملون لقب "بيكرادة" [سليل البكوات] (بلن، ص 38).

المصادر والمراجع: محمد بن الحسن البيهقي، تاريخ البيهقي، ط. سعيد نفيسي، طهران 1309 ش [1930م]؛
أجنبي...

/محمد فؤاد كوبريلي (د. أ. التركية)/

2) بيغم (بيغم، مخففها بگم [بيغم]، في فارسيّة شبه القارة الهندية: بيغمم [بيغم]، وفي التركية بيغم [بيغم]، مونث بيگ [البيك])، لقب فخري، خاصّ حصراً بالأميرات، في الحقبة المغوليّة من تاريخ الهند. كانت جهان آرا* بيغم، ابنة شاه جهان [الملك المعروف في سلالة تيموريّ الهند، حك: 1038 - 1069هـ] العازبة، في أثناء حكم أبيها، تحمل اللقب الرسميّ "پادشاه بيغمم" [جلالة الملكة]، واحتفظت بهذا اللقب، حتى بعد اعتقال شاه جهان وسجنه (كانت تُدعى أيضاً "بيغم صاحب" أو "بيغم صاحبه" [صاحبة الجلالة]. في عهد السلطان أكبر [ثالث الملوك التيموريين في الهند: حك 963 - 1014هـ]، كانت البيغمات (الملكات والأميرات) يتقاضين سنوياً بين 1'028 و 1'610 رويّة راتباً دائماً. بعد موت جهانغير [ملك الهند المغوليّ، حك: 1014 - 1037هـ]، جعل خليفته شاه جهان، لأرملته جهان نور راتباً سنوياً قدره 200'000 رويّة. كانت ممتاز محلّ زوجة شاه جهان، تتقاضى سنوياً 1'000'000 رويّة من الخزانة الملكيّة، في حين أنّ ابنة شاه جهان پادشاه بيغم كانت تتقاضى سنوياً 600'000 رويّة، نصفها نقدًا ونصفها أملاكًا. جعل أورنغ زيب [سادس ملوك الهند التيموريين، حك: 1068 - 1118هـ]، لهذه الملكة راتباً سنوياً مقداره 1'200'000 رويّة.

قبل تشكيل دولة باكستان 1366هـ/1947م، كانت الواحدة من السيّدات المنتميات إلى عائلات الأشراف والأكابر المسلمين تُدعى بيغم؛ أمّا الآن ففي باكستان جميع السيّدات المتزوّجات، باستثناء نساء الطبقة المعدمة، تُدعى الواحدة منهنّ بيغم، بمعنى السيّدة. هذه الكلمة غير متداولة بهذا المعنى في الدول العربيّة أو الفارسيّة اللّغة. من العادات والتقاليد في باكستان

أن يخاطب الأزواج زوجاتهم على الملأ، أو في الخلوة بصفة بيغم، ويلتزمون بعدم ذكر أسمائهن، وفي الهند والباكستان، ينادي الخدم ربّة المنزل بيغم. وتُضاف هذه الكلمة كلاحقة إلى أسماء الوليدات حديثاً، لكنّ هذه العادة سرعان ما تُسخت.

المصادر والمراجع: أحمد الدهلويّ، فرهنگ آصفیه [المعجم الآصفيّ]، لاهور 1986م، مادة "بيگم"؛ عبد الحميد اللاهوريّ، پادشاه نامہ [تاريخ الملوك] (مجموعة الآثار الهنديّة)، مج1، ص 96، الفهرس؛ أحمد عبد العزيز بن محمّد النائطيّ، آصف اللغات، حيدر آباد الدكن 1327-1340هـ، مادة "بيگم"؛
أجنبي....

/بزمي الأنصاريّ (د. الإسلامية)/

البيمارستان، المكان الذي يجري فيه علاج المرضى وتطبيهم. هذه الكلمة الفارسيّة مركّبة من "بیمار" [المريض] واللاحقة المكانيّة "ستان". أمّا مرخمها "مارستان" فيمعنى "دار المجانين" على الأغلب، سُمّي في الأندلس "مالاستان/ماراستان"، وفي مصر "مُرستان"، وفي المغرب "مُرستان/مِستران". كان اسم مستشفى/مدرسة الطبّ في جنديسابور البيمارستان (← تنمّة المقالة، قسم إيران)، وهذا دليلٌ على قِدَم رواج كلمة بيمارستان. يُستخلص من نصّ وقفية المستشفى الذي بناه تمعاج بُغرا، أوّل ملك قراخانيّ مسلم، في العام 458هـ في سمرقند، على استخدام الاسم "دار المرضى" في تلك الآونة، بدلاً من "بيمارستان"، وفي عصر السلاجقة "دار العافية" و "دار الشفاء". كان العثمانيّون يَستخدمون فضلاً عن "دار الشفاء"، الأسماء: "دار الصحّة" و "شفاخانه" [دار الشفاء]، و "بيمارخانه" [دار المرضى]، و "تيمارخانه" [دار المجانين]، وابتداءً من القرن الرابع عشر الهجريّ/العشرين الميلاديّ، بعد تأسيس المراكز الصحيّة الحديثة على الطراز الأوروبيّ، استُخدم الاسم "خسته خانه"¹. الاسم المستخدم في البلاد العربيّة اليوم هو: المستشفى، أو المشفى.

القرون الإسلاميّة الأولى. ورد في سيرة ابن هشام (مج3، ص 239)، وصفٌ لكيفيّة إنشاء أوّل مركز علاج، لمداواة جرحى غزوة الخندق؛ فقد أقامت سيّدة تُدعى رُفيدة الأنصاريّة، في مسجد الرسول خيمةً لمداواة الجرحى، عولجَ فيها بأمرٍ من الرسول سعدُ بن معاذ. يرى المقرزيّ (مج2، ص 405)، أنّ إنشاء أوّل بيمارستان في العالم الإسلاميّ، من

¹ - Hastahane.

إنجازات الوليد بن عبد الملك الأمويّ في العام 88هـ، ويقول، إنّه عيّن أطباء أجرى لهم أرزاقاً دائمة، وأصدر أمراً بفصل المجذومين، ومنعهم من التجوّل بين الناس. يقول ابن دُقماق أيضاً (مج1، ص 99) إنّ منزل أبي زبيد في محلة سوق القناديل في فسطاط مصر قد حُوّل في العصر الأمويّ إلى بيمارستان.

أولى المراحل المضيئة في تاريخ المستشفيات بعد الإسلام، كانت في عهد الخلفاء العبّاسيّين. ففي العام 148هـ مرض المنصور فاستدعى جورجيس بن جبرائيل بن بُختيشوع [رئيس بيمارستان جُنديسابور، ← بُختيشوع*] من جنديسابور إلى بغداد. بعد ذلك ساهم أطباء جنديسابور مساهمةً لا يستهان بها في تقدّم الطبّ الإسلاميّ وإنشاء البيمارستانات (← تتمّة المقالة، قسم إيران). طلب هارون الرشيد (حك: 170-194هـ) إلى جبرائيل بن بُختيشوع بن جورجيس أن ينشيء بجانب الكرخ بيمارستاناً شبيهاً بجنديسابور. ثمّ استقدم أبا يوحنا ماسويه من جنديسابور، وعيّنه رئيساً له، وقد ترأسه من بعد ابنه يوحنا بن ماسويه (ابن أبي أصيبعة، ص 242-243، 246 وما بعدها). بنى البرامكة أيضاً في بغداد بيمارستاناً باسمهم، أوكلوا رئاسته إلى طبيبٍ هنديّ اسمه ابن دهن، وطلبوا إليه أن يُترجم المؤلفات الطبيّة السنسكريتيّة بالعربيّة (ابن النديم، ص 305).

لا نعلم إلى أيّ زمن ظلّ العمل جارياً في بيمارستان هارون الرشيد، لكنّ ما لا شكّ فيه أنّه ظلّ المثال المحتذى به في تأسيس البيمارستان الأخرى.

في العام 247هـ، أنشأ الفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكلّ، التركيّ بيمارستاناً في معافير الفسطاط (المقريزيّ، مج2، ص 406)، وفي العام 302هـ أنشأ عليّ بن عيسى بن الجراح (ابن الجراح) بيمارستاناً في حربيّة بغداد. بعد ذلك تزايد عدد البيمارستانات المستحدثة في بغداد، وغيرها من النواحي، بحيث بات القرن الرابع الهجريّ يُعدّ مرحلة ازدهار الطبّ الإسلاميّ، وإنشاء البيمارستانات. في ذلك العصر، أوكل عليّ بن عيسى إلى الطبيب المشهور أبي عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقيّ، فضلاً عن إدارة بيمارستانات بغداد، إدارة بيمارستانات مكّة والمدينة (ابن أبي أصيبعة، ص 316). قبل ذلك في عصر الخليفة المعتضد (279-290هـ) بنى أمير أمراءه بدر المعتضديّ* بيمارستاناً في الضاحية الشرقيّة لبغداد (م. ن، ص 301). في أوّل الحرّم من العام 306هـ، افتتح بيمارستان السيّدة، الذي بُني باسم أمّ مجد الدولة البويهّيّ في بغداد، على يد الطبيب المشهور سنان بن ثابت. بلغت النفقات الشهريّة لهذا البيمارستان ستمائة دينار (القفطيّ، ص 195؛ ابن أبي أصيبعة، ص 302). في العام 306هـ،

بنى الخليفة المقتدر بالله، بناءً على نصيحة سنان بن ثابت، في محلّة باب الشام في بغداد "البيمارستان المقتدري"، وخصّص له ميزانيّة شهرية قدرها مائتي دينار (القفطيّ، ص 194-195؛ ابن أبي أصيبعة، م. ن، ص. ن). أنشأ ابن الفرات أحد وزراء الخليفة العباسيّ المقتدر بالله، ذوي النفوذ، بيمارستاناً في ناحية درّب المفضّل في شرقيّ بغداد، أوكلَ خلفه الخاقانيّ رئاسته في العام 313هـ إلى الطبيب سنان بن ثابت (ابن أبي أصيبعة، ص 304-305). شيّد أبو الحسن بَجَكَم* أيضاً في العام 330هـ، على الضيفّة الغربيّة لنهر دجلة، على قمّة تلة صغيرة يربض فوقها قصر هارون الرشيد، بيمارستاناً باسمه، بناءً على نصيحة سنان بن ثابت الطبيب (القفطيّ، ص 193؛ ابن أبي أصيبعة، ص 304).

في ذلك الحين كان في واسط، والرّقة، وميافارقين، وحرّان، وأنطاكية، ونصيبين، وإيران (← تنمّة المقالة، قسم إيران) أعدادٌ من البيمارستانات (ترزي أوغلو، 1968م، ص 42-52؛ أحمد عيسى، ص 198، 201-202، 204، 266-269). في تلك المرحلة، بناءً على اقتراح سنان بن ثابت، وأوامر عليّ بن عيسى، كان أطباء يزورون السجون يوميّاً، ويُعانون المرضى، ويجيزون لهم تناول بعض أنواع الأدوية (ابن أبي أصيبعة، ص 301). كان يُرسل كذلك، بأمرٍ منه، بيمارستانٌ سيّار إلى قرى جنوبيّ العراق، وكان الأطباء المرافقون يُعانون المسلمين وغير المسلمين أيضاً، ويعالجونهم (القفطيّ، ابن أبي أصيبعة، م. ن، صص. ن). في تلك المرحلة، بالإضافة إلى البيمارستانات الكاملة التجهيز، كانت توجد بيمارستانات أيضاً لها سِمات الخانقاهات [التكايا الدرويشية]، مخصّصة لمعالجة المرضى النفسيين؛ وقد ذكر المُبرّد الأديب المشهور المعاصر للمتوكّل، مؤسّسة من هذا النوع في دير حزّقليل بين بغداد وواسط. يتّضح من خلال المعلومات المستفيضة التي قدّمها مؤلّفو القرنين الثالث والرابع الهجريّين (اليعقوبي، ص 321؛ المسعودي، مج4، ص 89) عن هذا البيمارستان، أنّه أقدم بيمارستان نفسيّ، وأرقى من "بيمارستان فالنسيا¹/بلنسية العام" في الأندلس (أسّس في العام 812هـ/1409م)، ومستشفى بتلهم² [= بيت لحم] في لندن (أسّس سنة 807هـ/1404م) (ترزي أوغلو، 1968م، ص 42). أفضل أنموذج للبيمارستانات التي كانت تتمّ فيها معالجة الأمراض الجسديّة والنفسية، في القرن الثالث الهجريّ، بيمارستان أحمد بن طولون في القسطنطينية، الذي كان قد شيّد إلى جانب مسجد ابن طولون الجامع. يقول المقرئزيّ (مج2، ص 405-406)، كان يُفرض على المرضى في ذلك البيمارستان أن يرتدوا

¹ - Hospital general Valencia.

² - Bethlehem.

ثياباً خاصّة؛ بعد ذلك تتمّ معالجتهم، ويُؤمّن لهم الدواء والطعام. كان هذا الـبیمارستان الذي أنفق على إنشائه وتجهيزه ستون ألف دينار، يستقبل فضلاً عن العبيد والجنود، الناس من مختلف الطبقات، الأغنياء والفقراء على حدّ سواء. وكلّ يوم جمعة كان ابن طولون يتفقد الـبیمارستان، ويطلع على سير الأمور فيه. لهذا الـبیمارستان أهميّة كبيرة في تاريخ الطبّ والطبّ النفسيّ. أسّس أيضاً كافور رابع الأمراء الإخشيديين، في العام 346هـ في الفسطاط بيمارستاناً باسم الأسفل (م. ن، ص. ن). لكنّ أهمّ بيمارستانات العالم الإسلاميّ في القرن الرابع الهجريّ، كان الـبیمارستان العضديّ*. لم يبق اليوم أيّ أثر يدلّ عليه، علماً أنّه ظلّ يعمل حتى العام 656هـ. كذلك لم يبق أيّ أثر للـبیمارستانات الأخرى في العالم الإسلاميّ العائدة إلى ما قبل عصر السلاجقة. حتى أنّ كتباً مثل صفات الـبیمارستان للرازيّ، وكتاب الـبیمارستانات تأليف زاهد العلماء الفارقيّ (الطبيب في بيمارستان ميّافارقين في القرن الخامس الهجريّ) قد فقدت أيضاً، (← القفطيّ، ص 272؛ ابن أبي أصيبعة، ص 341، 414-415).



د. أ. د. التركيّة، مادّة "Bîmâristan"

خريطة منشأة طبيّة في بغداد في العصر العبّاسيّ، من القرن الثاني حتى الرابع الهجريّين (أعاد رسمها ترزي أوغلو نقلاً عن خريطة لسترنج)
الجهة اليمنى صورة:

موقع الـبیمارستان والمدارس في العصر السلجوقيّ في شرقيّ بغداد.

شمال غربي أفريقيا والأندلس. ما من بيمارستان من تلك التي بُنيت في المغرب والأندلس، بقي محافظاً في الوقت الراهن على شكله القديم. اليمارستان الأقدم في تونس، كان قد بُني في محلة ديمنة في القيروان بأمر الأمير الأغلبيّ (حك: 202-224هـ). كان يضمّ غرفاً للمرضى، وغرفاً انتظاراً للزوّار، ومسجداً صغيراً، وغرفة دراسة، وكان الأطباء يُعالجون المرضى بمساعدة ممرضات سودانيّات (حسن عبد الوهّاب، ص 907، 916؛ الحمارنة¹، ص 375). كما ذكر الزرّكشيّ (ص 102)، أنّ أوّل من بنى بيمارستاناً [في مدينة تونس] هو أبو الفوارس، من الأمراء الحفصيّين، تمّ إنجاز البناء في العام 823هـ.

الخبر الوحيد عن أوّل بيمارستان كبير في فاس، مفاده أنّ بانيه هو الأمير الموحدّيّ أبو يوسف يعقوب (المنصور بالله، حك: 580-596هـ). كان هذا الأمير يولي بناء هذا اليمارستان الكثير من الأهميّة، فدعا إلى بلاطه كبار أطباء عصره، من بينهم ابن طفيل، وابن رشد، وابن زُهر الحفيد، وابنه، عبد الله بن الحفيد، وشيّد [بعد استشارتهم] للمسلمين بيمارستاناً كبيراً. هذا اليمارستان كان مبنياً فخماً، كما وصفه عبد الواحد المراكشيّ (ص 209)، أقام هذا الحاكم أيضاً في منطقة حكمه بيمارستانات للمجانين، والمخدومين، والعميان. لقد بذل السلاطين المرينيّون الكبار، أبو يوسف يعقوب، وأبو الحسن المرينيّ وأبو عنان المرينيّ، جهوداً كبيرة للمحافظة على هذه المنشآت، كما شيّدوا هم أيضاً بيمارستانات جديدة. يقول ابن بطوطة (703-779هـ) عن معاصره أبي عنان المرينيّ (حك: 750-760هـ)، أنّه بنى في كلّ مدينة من مملكته بيمارستاناً، خصّص له أوقافاً كثيرة لتأمين نفقات الأطباء والأدوية (ص 43، 663). بعد ذلك حين تولّى الحكم أمراء كانوا يضعون أيديهم على تلك الأوقاف، ويستولون عليها، آلت شمس تلك المستشفيات إلى الأفول. فاليمارستان المعروف العائد إلى عصر الموحّدين في مراكش، زال من الوجود، ولم يبقَ أيّ أثر له، وكذلك اليمارستان الآخر الذي أقامه الأمير سعدي أبو محمّد، عبد الله الغالب بن محمّد المهديّ (حك: 965-982هـ)، في المكان نفسه، عطلّ، وحوّل إلى سجن للنساء (سلادي، مج 5، ص 39). يقول ليون الأفريقي²، أنّه شاهد في مدينة فاس في أوائل القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، بيمارستاناً مهذباً كلياً، كان قد حوّل من قبل إلى موضع لحجر المجانين الخطيرين (مج 2، ص 78). بنى المولى (عبد الرحمن بن هشام) السلطان العلويّ، في العام 1247هـ، بيمارستاناً في سلا، إلى جانب مقبرة سيدي بن عاشر، ظلّ يعمل إلى زمن قريب، لكنّ مرضاه

¹ - Hamarneh

² - Léo Africanus.

كانوا لا يعتمدون على الأطباء، بل ينتظرون الشفاء من العارف الواصل صاحب ذلك المزار. في فاس كان مرضى الجذام بشكل عام، يُحجر عليهم في معازل خاصة، في ضواحي المدينة. هؤلاء المرضى الذين كانوا يُجمعون في باب الهمومة، على رأس الطريق من فاس إلى تلمسان، نُقلوا في النصف الأول من القرن السابع الهجري إلى المغاور الواقعة في ضواحي باب الشريعة.

في الأندلس، بُنيت، لعزل مرضى الجذام، بيمارستانات خاصة خارج المدينة، من بينها قصر مئنة العجب، بجانب الوادي الكبير¹، في ضواحي قرطبة (ليني بروفنسال، مج3، ص 434).

كان في قرطبة، بناءً على ما ذكره المَقْرِي، في الحقبة الإسلامية، خمسون بيمارستاناً عاملاً: حول الإسبان [بعد سقوط غرناطة]، البيمارستان الذي كان الأمير محمد الخامس، من بني نصر، قد بناه في غرناطة في العام 777هـ، إلى دار للضرب. وقد هُدم هذا المبنى في العام 1260هـ؛ لكن المهندس المعماري الفرنسي غيهابو²، استخلص خريطة له، يظهر فيها المستشفى مبنى من طبقتين حول باحة داخلية محاطة بأواوين ذات أعمدة، شديد الشبه بالبيمارستان الذي بُني في العام 673هـ في توقاد بأمر من معين الدين بروانه*، ولا يزال قائماً (كمتحف) (ترزي أوغلو، 1968م، ص 58-62، غيهابو، مج6، ص 414). على أساس لوحة الكتابة الحجرية لهذا المستشفى، المحفوظة في متحف غرانادا (غرناطة)، كانت تُعالج في هذا المستشفى مختلف أنواع الأمراض، ومبناه رائع ولا مثيل له جمالياً. في هذا الادعاء على ما يبدو شيء من المبالغة، فمثل هذه المباني كانت موجودة بكثرة في جميع أنحاء الأندلس، لا سيما في غرناطة (جنوبي إسبانيا). في الخريطة التي أعدها كونل³ لغرناطة في عهد "بني نصر"*، اعتماداً على المصادر القديمة، سُميت البوابة الغربية لحصن المدينة الأقرب من البوابات الأخرى إلى مسجد المدينة، "باب المارستان"، وهذا دليل على أنه كان يوجد في تلك الناحية، فضلاً عن البيمارستان الذي شيده محمد الخامس بالقرب من قصر الحمراء، بيمارستان آخر (ترزي أوغلو، 1968م، ص 57-58).

بعد العصر الإسلامي في الأندلس، ظلّ المعماريون المسلمون يبنون البيمارستانات للأمراء والأميرات، وحتى للرهبان، بالقرب من مقرّ إقامتهم، كبيمارستان لاتينا⁴ في مدريد،

¹ - Guadalquivir

² - Geailhabaud

³ - E Kühnel

⁴ - Hospital de Latina

ومصمّمه وبانيه كما يُصرح نصّ وقفيّته مهندس معماريّ مسلم اسمه حسن (خوان¹، ص 241). لا يزال الباب الرئيسيّ لهذا الـبيمارستان، قائماً حتى الآن، وهو أتمودج من تزاوج فنّ العمارة الإسلاميّة والأوروبيّة.

في المناطق السلجوقيّة. [نظراً لانتساع مساحة المناطق التي كان يحكمها السلاجقة، ولطول المدّة التي استغرقها حكمهم، ولكثرة الـبيمارستانات التي أنشئت في عصرهم في مختلف أرجاء العالم الإسلاميّ، جرت دراسة هذه المرحلة وتقويمها على نحو مستقلّ].

إنّ دراسة الآثار العائدة إلى العصر السلجوقيّ، ومن ضمنها بيمارستان نور الدين في الشام (446هـ)، ودار الشفاء جوهرنسب، ودار الشفاء غياث الدين كيخسرو في قيصريّة (602هـ)، ودار الشفاء كيكاووس في سيواس (614هـ)، وبيمارستان توران ملك، ابنة بهرام شاه، في ديفرغي² (625هـ)، ودار الشفاء بروانه بيك، المعروف باسم غوك مدرسه [= المدرسة اللازوردية] في توفاد (674هـ)، ومستشفى أتاك فرخ في كنجري (تشانغري؛ 632هـ)، ومستشفى عليّ بن بروانه في قسطنطيني (670هـ)، تدلّ كلّها على أنّ المخطّط المصلّب للمباني ذات الأواوين الأربعة وقبائها الأربعة المزخرفة بتأثير من التقويم التركيّ بالرسوم النافرة للحيوانات والقمر والشمس، يبدو أنّها كانت مستلهمةً من تركستان، موطنهم السابق في آسيا، وكانت لها مساهمتها في العصر القوطيّ في أوروبا. نظراً إلى أنّ بيمارستانات العصر السلجوقيّ كانت تعمل في أثناء الحروب الصليبيّة، فإنّ لها أهميّة كبيرة في تاريخ بيمارستانات العالم. ظلّت دور العجزة، ودور الجذام في الأناضول تعمل حتى العصر العثمانيّ، من ضمنها تكيّة قراجه أحمد في ضواحي مدينة أفيون، ومقبرة ملك دده في ناحية أناجق بالقرب من بوردور. ورد في مدوّنة رحلة كلاويخو³، السفير الذي بعثه ملك إسبانيا إلى تيمور، في أوائل القرن التاسع الهجريّ/الخامس عشر الميلاديّ، أنّ في قرية بجوار أرضروم، المسماة اليوم دلي بابا، تكيّة تعود إلى العصر السلجوقيّ، كان المرضى النفسيون فيها يُعالجون بالإيحاء. على باب هذا الـبيمارستان يُشاهد رسم شرّابة وسمكة (ص 79). صورتا القمر والشمس المنحوتتان في "داري الشفاء" السلجوقيّين في قيصريّة وسيواس، يؤكّد كلام كلاويخو. يتبيّن من خلال أبحاث نافذ أوزلوق في السجلات الشرعيّة في قونية، أنّ الجذومين كانوا في هذه المدينة يُعزلون عن سائر المرضى، ومن ثمّ يأتي طبيبان من بيمارستان علاء الدين لمعاينتهم، ويُنقلون إلى تكيّة خنازيريان (ترزّي أوغلو، 1978م، ص 1). تدلّ ملفات مركز توثيق رئاسة الحكومة التركيّة على وجود

¹ - Juan

² - Divriği

³ - Clavijo

مؤسّسات من هذا النوع في عصر السلاجقة، في كلّ من قيصريّة وسيقواس وقسطموني وتوقاد (م. ن، ص 2). شُيّد في الأناضول، فضلاً عن البيمارستانات، حمامات بجذاء ينابيع المياه المعدنية، لمدّاة المرضى. يمكننا تقسيم بيمارستانات عصر سلاجقة الأناضول إلى أربع مجموعات: 1) البيمارستانات السيّارة. فقد كان في جيش ملكشاه السلجوقيّ (حك: 465-485هـ) بيمارستان سيّار، يضمّ مائة جمل تحمل المرضى والأطباء والأدوات والتجهيزات الطبيّة (أونفر¹، ص 11). كان أبو الحكم الباهليّ الأندلسيّ/المغربيّ (المتوفى سنة 550هـ) طبيب المستشفى السيّار التابع لمعسكر محمود (حك: 512-526هـ)، ملك العراق السلجوقيّ (القفطيّ، ص 405؛ ابن خلكان، مج3، ص 123-124). كان أربعون جملًا ينقلون هذا المستشفى من مكان إلى مكان آخر. فضلاً عن ذلك، كان عزيز الدين أبو نصر أحمد بن حامد، قد أنشأ في معسكر محمود بيمارستانًا يُحمَل أطبّاؤه وتجهيزاته على ظهور مائتي جمل (البنداريّ، ص 158). أبقى مماليك مصر على هذا التقليد الذي استنّه السلاجقة (المقريزيّ، مج2، ص 200؛ أحمد عيسى، ص 14-15). 2) بيمارستانات محطّات القوافل. بناء على ما دوّنه القلقشنديّ (مج14، ص 152-157)، وابن فضل الله العمريّ (ص 10-14)، كان في الرباطات ومحطّات القوافل في ديار السلاجقة، لا سيّما في الأناضول، بيمارستانات شغّالة. تؤيّد ما صرّح به هذان المؤرّخان، شروط إجازة وصف الأدوية والأشربة الواردة في نصّ وقفيّة خان [= رباط] قرهتاي الواقع في ضاحية مدينة قيصريّة (← توران، ص 58). 3) البيمارستانات السلطانيّة. كانت نماذج من هذه البيمارستانات موجودة في مصر وإيران. فقد أقام صلاح الدين الأيوبيّ، بعد أن احتلّ القاهرة (657هـ)، مستشفى في جناح من قصر الفاطميّين في المدينة (أحمد عيسى، ص 76-77، البديسيّ، ص 98). وصلت عادة إنشاء بيمارستانات البلاطات في الديار العثمانيّة، وفي العصر المغوليّ، حتى الصين. 4) البيمارستانات العامّة. الأنموذج الأوّل من هذه البيمارستانات في مصر شيّده نظام الملك (← تتمة المقالة، قسم إيران). من هذا النوع بيمارستان تُتَش، باسم الملك تُتَش، ابن ألب ارسلان، الواقع مع المدرسة التُّشّيّة على الضفّة الشرقيّة لنهر دجلة (شُرك²، مج1، ص 142؛ زاره- هرتسفلد³، مج2، ص 161). الأنموذج الأكثر شهرةً من هذا النوع من البيمارستانات، هو البيمارستان العضديّ. كانت الطبابة في هذه البيمارستانات تترافق وتعليم الطبّ.

¹ - Ünver

² - Streck

³ - Sarre- Herzfeld

كان البيمارستان الذي أنشأه نور الدين زنكي في العام 549هـ باسمه في الشام، والذي اشتهر باسم البيمارستان الأعظم، يُحسب مركزاً طبياً فائق الأهمية. أمّن نور الدين نفقات بنائه وتجهيزه من فدية ملك الفرنجة الذي أُسر في أثناء الحروب الصليبية. قال ابن جبير الذي رآه بعد ثلاثين سنة من تأسيسه: "يوجد هنا بيمارستانان واحد قديم والآخر جديد؛ في الجديد أي بيمارستان نور الدين، يشرع الأطباء منذ الساعات الأولى بمعاينة المرضى، ويصفون لهم الأدوية اللازمة والأطعمة المسموح تناولها" (ص 255-256). يُرجّح أن يكون البيمارستان القديم الذي أورد ابن جبير اسمه، هو البيمارستان الذي أنشأه دُقاق بن تُتّش السلجوقي (المتوفى سنة 498هـ) في باب البريد في الشام، لأنّ ابن عساكر (المتوفى سنة 572هـ)، تحدّث عن بيمارستان دُقاق بن تُتّش (إليسييف¹، ص 267). بيمارستان نور الدين على نمط منازل أترك آسيا الوسطى والمدارس السلجوقية بناءً ذو أربعة أواوين على شكل صليب ذي محورين حول باحة داخلية، وهو أقدم مستشفى سلجوقي حافظ على شكله الأصلي حتى اليوم، كما أنّه المؤسسة الوحيدة التي قدّم ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء معلومات وافية حول تعليماتها الطبية؛ لأنّ طبيب العيون هذا، ومؤرّخ علم الطبّ، المشهور، كان هو نفسه قد درس وتدرّب في هذه المدرسة في القرن السابع الهجري. فقد فصّل الحديث عن أبي المجد بن أبي الحكم، الذي عينه نور الدين زنكي، رئيساً لأطباء المستشفى، ويقول عنه إنّّه كان يمارس الطبابة، ويعلم الطبّ في الوقت نفسه (ص 628).

- 1- الباحة ذات الأعمدة.
- 2- الإيوان الخاصّ بالمرضى الرجال.
- 3- غرفة المريضات.
- 4- غرفة المرضى الرجال في طور النقاهاة.
- 5- غرفة المريضات في طور النقاهاة.
- 6- مقرّ المرّضين.
- 7- المطبخ والغرف الملحقة به.
- 8- المكان الذي توضع فيه التوابيت.
- 9- غرفة الغسيل.
- 10- مخزن التدفئة.
- 11- غرفة رئيس المستشفى.
- 12- غرفة الجرّاحين.

¹ - Elisséeff.

13- غرفة أطباء العيون.

14- مكان قراءة صلاة الميِّت (المصلّى).

15- الباحة ذات الأعمدة.

16- غرفة المرضى النفسيين من الرجال.

17- غرفة المريضات مرضاً نفسياً.

18- أحواض المياه.

د. أ. التركيّة، مقالة "Bimâristan"

خريطة أرضية بيمارستان قلاوون في القاهرة.

في البيمارستان الذي كان المنصور قلاوون قد أقامه في القاهرة في العام 683هـ، كان الطب يُعلّم نظرياً وعملياً، كما كان الحال في بيمارستان نور الدين، ومعلومٌ أنّه كان يضمّ مكتبة كبيرة، حُفظت فيها الكتب المهداة من ابن النفيس. أعاد قلاوون بناء هذا البيمارستان بعد إجراء تعديلات على أحد القصور الفاطميّة المسمّى القُطبيّة، والذي كان عدد ساكنيه ثمانية آلان نَسَمَة، على شكل مبنى ذي أربعة أواوين، ثم جعله مجموعةً بعد أن أضاف إليه ملحقات منها مدرسة الطبّ، والمقبرة الخاصّة (المقريزيّ)، مج2، ص 406-408؛ هرتس¹، ص 1-43). استخرج المهندس المعماريّ الفرنسيّ، باسكال كوست²، مخطّط هذا البيمارستان في العام 1232-1241هـ/1817-1826م. هذا المبنى مؤلّف - على أساس هذا المخطّط - من أربعة أواوين، ونقطة تقاطعها المركزيّة مقببة السقف (أولياء شلي، مج10، رقم 452، الورقة 45و؛ ترزي أوغلو، 1968م، ص 91-97). في هذا البيمارستان المشهور أيضاً باسم البيمارستان المنصوريّ، كانت يتمّ علاج مختلف أنواع المرضى، حتى المجانين؛ وكان عدد كبير من الأطباء يقومون بتدريس طلبة الطبّ. كان هذا الموضع، على حدّ علمنا، في القرن الحادي عشر أيضاً، أهمّ بيمارستان في العالم الإسلاميّ، ومركزاً طبياً (أحمد عيسى، ص 44-48).

المؤسّسة المهمّة الأخرى العائدة إلى العصر السلجوقيّ، مجموعة مركّبة من مدرسة الطبّ - المستشفى، كان غياث الدين كيخسرو السلجوقيّ وأخته جوهرنسب، قد بنياهما في قيصريّة متحاذيين (غابرييل، مج1، ص 90). حافظ هذا المركز الطبّيّ حتى اليوم على وضعه

¹ - Herz
² - Coste

القديم، ويُستخلص من شعر لسلطان ولد حول قيصرية، احتمال أن يكون الحكيم والمنجم المعروف، قطب الدين الشيرازي، قد عمل فيه لمدة من الزمن (أوزلوق، ص 5).

أبدى الطبيب المعروف، عبد اللطيف البغدادي (المتوفى سنة 629هـ)، حين كان في أرزنجان في خدمة علاء الدين داوود بن بهرام شاه بني منغولك، رأيه بال "شفاخانه" [دار الشفاء]، التي كانت توران ملك، ابنة الملك، قد شيّدهت باسمها، ولا يزال قائماً حتى الآن.

في العام 709هـ، في عهد السلاجقة الروم في آماسيه، شيّد مستشفى، خدم فيه، بعد ذلك صابونجي أوغلي شرف الدين، طبيباً وأستاذاً لمدة أربع عشرة سنة (ترزي أوغلو، 1991م، ص 28-32؛ ألود 1970م، الصفحات العاشرة- الثانية عشرة).

معمارياً، العناصر المشتركة بين بيمارستان نور الدين في الشام (بني في العام 549هـ)، ومستشفى كيميريان، ودار الشفاء المسمّى باسم جوهرنسب في مدينة قيصرية، ومدرسة الطبّ المسمّاة باسم غياث الدين كيخسرو- التي حافظت كلّها على شكلها الأصلي- هي: المبنى المصلّب ذو المحوريّين المحيطين بباحة داخلية ذات أربعة أواوين.

بحث أندريه غودار عن منشأ المدارس والمساجد ومحطّات القوافل ذات الأواوين الأربعة، في مبنى ذي أواوين أربعة في مدينة باميان في خراسان (يعود تاريخ بنائه إلى القرن الخامس الهجري)، كان على ما يبدو قصر تركان خاتون (المتوفّاة سنة 487هـ) (الصفحتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة، والصفحات 1-9). عُثر كذلك في الحفريات في آسيا الوسطى على منازل مبناهما مصلّب تتوسطه باحة مسقوفة بقبة. يجب عدّ هذا النوع من المنازل منشأ المدارس والمستشفيات ذات الأواوين الأربعة، والباحة المركزيّة المقبّبة السقف (بوغاتشنكوف¹، ص 142-158)، مثل البيمارستان الذي بناه نور الدين زنكي في الشام في العام 549هـ، ولا يزال قائماً حتى الآن، ودار الشفاء الذي بنته توران ملك في ديفر كوي (سنة 626هـ)، وبشكل خاص بيمارستان قلاوون في القاهرة (أنشي سنة 682هـ)، و "اوسبداله ماغيوره"² [مستشفى ماغيوره] في ميلان (بداية التشييد: 862هـ/1457م؛ ترزي أوغلو، 1976م، مج 2، ص 873-879).

لقد تركت البيمارستانات السلجوقية تأثيراً في البيمارستانات الأوروبية في عصر النهضة، من حيث الشكل الظاهري، ومن حيث الهندسة المعمارية، والزخارف الداخلية على حدّ سواء؛ مثلاً مستشفى سان بليز³ على الحدود الإسبانية- الفرنسية له قبة يمكن عدّها مقتبسة

¹ - Pugachenkova

² - Ospedale Maggiore

³ - Hospital Saint- Blaise

من قبة "دار الشفاء" توران ملك. كان شعار بيمارستان نور الدين زنكي، صورة زهرة زنبق، وهي نفسها شعار بيمارستان قلاوون. واستخدمت في زخرفة غرف المستشفى ذي الطبقتين في مدينة رودس، الذي بناه فرسان الهيكل الصليبيون في العام 844-895هـ/1440-1489م. يُشاهد هذا الشعار أيضاً في بلاطات الملوك الفرنسيين. بالإضافة إلى ذلك، يدلّ شبه خريطة مستشفى فرسان رودس بـ "دار الشفاء" السلجوقية ذات الطبقتين في توقاد، على الأهمية الثقافية والتاريخية للبيمارستانات السلجوقية (ترزّي أوغلو، 1975م، ص 828-829).

لم يبقَ تأثير البيمارستانات السلجوقية مقتصرًا على البلدان الأوروبية، وإنما تمدد إلى مناطق أخرى أيضاً، من الشرق الأدنى حتى الشرق الأقصى؛ وقد ساهم المغول في العصر الإيلخانيّ في هذا التمدد، بتشبيدهم بيمارستانات في عدد كبير من المدن، منها آماسيه وسيواس، وتبريز، وهمدان، وسلطانية، وشيراز، وبغداد، على نمط البيمارستانات السلجوقية. بنى تيمور في سمرقند قصرًا وبيمارستانًا، حوّل في ما بعد إلى مركز علميٍّ - ثقافيٍّ، من الجدير عدّه بعد بيمارستان تمغاج بغراخان، ثاني مركز صحيّ كبير في تلك المدينة (ألغود، 1951م، ص 173). بنى شاهرخ، ابن تيمور، كذلك مستشفىً في هراة. في عهد السلطان حسين بايقرا (873-911هـ) بنى الأمير عليشير النوائي، بمحاذاة قناة أنجل¹، مجموعة كبرى تضم قصره الخاص، وحدائق فيها برك، ومدرسة طبية وبيمارستانًا (د. أ. التركيّة، مج 1، ص 352).

الهند والصين. كانت قد بُنيت في الهند قبل عهد البابرّيين بيمارستانات كبرى، لم يبقَ منها أيُّ أثر. فقد ذكر القلقشنديّ، أنّ سبعين بيمارستانًا كانت قائمةً في عصر محمد بن تغلق (شبيس²، ص 29). ذكر محمد قاسم فرشته (مج 1، ص 151)، أنّ السلطان فيروز أضاف إليها خمسة أبواب أخرى. كان يُعيّن للبيمارستانات أطباء متخصصون، من جراحين وأطباء عيون وغيرهم، وممرضون كذلك، ومراقبون للمرضى، وكانت الأدوية والأطعمة متوافرة مجانًا. كما أنّ أبواب هذه المستشفيات كانت مفتوحة أمام جميع الطبقات من دون استثناء. وكان فيروزشاه، يأخذ أموالاً من القرى التي تتجاوز مداخيلها حدًا معينًا، لتأمين نفقات المستشفيات. ورد الكلام مفصّلًا في السيرة الفيروزشاهية (تأليفه سنة 772هـ) على الأدوية التي كانت تُستهلك في البيمارستانات وعلى تركيباتها. أسس السلاطين القطب شاهيون، محمد علي قطب

¹ - Incil

² - Spies

شاه (حك: 988-1004هـ) في حيدر آباد، والنَّوَّاب خيراندیش خان في أتاوه¹،
بیمارستانات، وقد دوّن الطیب خیراندیش خان کتاباً عن أطباء هذه المؤسسات اسمه فَیروت
التجاری (صدیقی، ص 168-169).

في قصر فتحبور السیکری بیمارستان كثير التجهيزات، لا يزال قائماً حتى الآن، كان
مخصّصاً، كما ذكر طبيبه الإيطالي نيكولاؤومانوتشي²، في القرن الحادي عشر
الهجري/السابع عشر الميلادي، لمدواة سيدات الحريم (بورغهام، 1938م^{الف}، ص 2185-
2186). كان في هذا بیمارستان اثنتا عشرة غرفة للمرضى، وعدد كافٍ من المراحيض،
وأحواض الاستحمام، والمغاسل. تُعطي سقوفه المزخرفة، التي لا تزال محافظة على جمالها، فكرةً
وافيةً عن الزخارف الفخمة لهذا بیمارستان السلطاني. لمنع أشعة الشمس من التسرب إلى
غرف المرضى، بُنيت في مقابل الغرف أوابين مزججة ومسقوفة. لا تزال المباني الإداريّة
المخصّصة للأطباء، وحمّامات القصر كذلك، قائمةً حتى الآن. كان جهانغير، ابن أكبر، قد
أصدر أمراً بإنشاء بیمارستانات في المدينة، لتطبيب الناس مجّاناً. ولا تزال اطلال هذه
البیمارستانات العموميّة، موجودةً حتى الآن في أكره (م. ن، ص 2192).

ليس من السهل إثبات تأثير الطراز المعماريّ للبیمارستانات السلجوقيّة في بیمارستانات
تیموریّ الهند؛ لكن، نظراً إلى أنّ المغول قد أوصلوا العمارة السلجوقيّة إلى الصين، يمكن الإقرار
بأنّ هذا التأثير كان مشهوداً في الهند. في عصر قوبيلاي قآن (658-693هـ)، أنشئ في
الصين ثلاثة بیمارستانات على الطراز المعماريّ السلجوقيّ، الذي كان سائداً في تركستان
وإيران، أحدها في قصر قوبيلاي في سياندو (تشنغتو)³، والآخر في تاتو⁴ (خانبالق/بكين).
وكان هذان بیمارستانان موضوعان في الخدمة منذ العام 691هـ، بإشراف أطباء مسلمين. أمّا
البیمارستان الثالث، فهو البیمارستان الملكيّ في بكين، الذي كان يُسمّى كوانغ-هوني-
شزه⁵. فضلاً عن هذه بیمارستانات، كان الأطباء المسلمون، يعملون في الصيدليّات الملكيّة
الصينيّة.

العصر العثمانيّ. تعود معظم بیمارستانات الإسلاميّة القديمة، إلى العصر
العثمانيّ. ففي المذكّرات التي دوّنها البارون فنسلاف فراتيسلاف⁶، عضو البعثة- النمساويّة

¹ - Etawah

² - Niccolao Manucci.

³ - Ciandu (chengtu)

⁴ - Tatu

⁵ - Kuang-hui-Sze

⁶ - Wenceslaw Wratisslaw

إلى إسطنبول في العام 999هـ/1591م، أنَّ بيمارستانًا قد أُسس في مصنع قاسم باشا للسفن، لأفراد طاقم الأسطول العثمانيّ. ويُستخلص من سجلّ المحفوظات، أنّه بالإضافة إلى بيمارستان ساقز آغاجي، وبيمارستان آينالي قواق التابعين للأسطول قاسم باشا البحريّ، كانت هنالك بيمارستانات للبحريّة في كلّ من كريت والبصرة وبرفزه¹، وبيمارستانات لتطبيب العاملين في الأسطول في مصانع السفن في كلّ من غمليك، وإزميت، وإزنيق، وروسجق، وتولجى، وفدين، وسودا (في كريت)، والسويس، والبصرة (ترزي أوغلو، 1988م، ص 53-61). كان العثمانيّون يستخدمون البيمارستانات القديمة، ملتزمين بالمقرّرات الواردة في وقفيّاتها. كذلك شيّدوا بيمارستانات جديدة في كلّ من بورصة، وأدرنه، واسطنبول، وسالونيك، وبلغراد، وبودابست. ورد في مذكرات الألمانيّ يوهانس شيلتبرغر²، الذي أسره الأتراك في معركة نيكبولى³، ودخل في خدمة السلطان بايزيد [إيلديرم بايزيد] (حك: 791-805هـ)، أنّه كان في بورصة، عاصمة الدولة العثمانيّة في ذلك الحين، ثمانية بيمارستانات، كان جميع المرضى يتلقّون العلاج فيها، من دون أيّ تمييز على أساس دينيّ أو عرقيّ (ص 94). لم يبق اليوم من البيمارستانات الثمانية سوى بقايا جدار ارتفاعه مترًا واحد، من البيمارستان الذي كان الإيلديرم بايزيد قد شيّده بين العامين 792 و 796هـ. أعاد المهندس المعماريّ التركيّ تشّتين تاش، رسمَ خريطة المبنى، بعد دراسة هذه البقايا (ص 38-40). بعد أن وقع الاختيار على أدرنه عاصمةً للدولة العثمانيّة، بنى السلطان مراد الثاني في هذه المدينة "دار الجذام"، وبيمارستانًا ملكيًّا باسم "خسته لر إوده سى" [دار المرضى = المستشفى] (ترزي أوغلو، 1979م، ص 58). في العصر العثمانيّ، لا سيّما في إسطنبول، بُني العديد من البيمارستانات، أوّلها المسمّى "شفاخانه" [دار الشفاء]، وهو جزء من الجَمْع الذي بناه السلطان محمّد الفاتح في العام 875هـ.

من البيمارستانات العثمانيّة المهمّة: بيمارستان الخاصّة في اسطنبول، مهندسه سنان (البناء: 945-957هـ)، وهو لا يزال قائمًا حتى اليوم؛ الشفاخانه [دار الشفاء] ومدرسة المجموعة السليمانيّة (البناء: 957-964هـ)، وبيمارستان عتيق والده [بيمارستان الوالدة القديم] (البناء: 991-995هـ). كانت تتمّ في هذه البيمارستانات معالجة المرضى النفسيين أيضًا. كان يعمل في دار الشفاء، كما تنصّ وقفيّة المجموعة السليمانيّة، رئيسٌ للأطباء، وطبيبان، وطبيبا عيون، وجرّاحان، وصيدلانيّان، ومساعدان صيدلانيّان، وعدد كبير من العمّال، يتقاضون

¹ - Preveze

² - Johannes Schiltberger

³ - Nigbolu

يومياً من ثلاثة إلى ثلاثين آفجه [= عملة فضيَّة]. وردت المعلومات المتعلقة بوضع البيمارستان التابع للمدرسة الطبيَّة، آونة الافتتاح، في كتاب طبقات الممالك ودرجات المسالك، تأليف جلال زادة مصطفى شلي (الورقة 414). استمرَّ تدريس الطبِّ في هذا البيمارستان حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجريّ/التاسع عشر الميلاديّ، واستمرَّ تطيب المرضى فيه حتى القرن الرابع عشر الهجريّ/العشرين الميلاديّ (ترزي أوغلو، 1983-1984م، ص 28-33).

لم يبقَ حاليًّا من البيمارستانات القديمة خارج اسطنبول، سوى "دار الشفاء" بايزيد الثاني (حك: 886-918هـ) في أدرنه (البناء: 889-893هـ)، ودار الشفاء السلطنة حفصة في مانيسا (مغنيسا)؛ هذا الأخير افتُتح في العام 946هـ، وهو من أوقاف السلطنة حفصة زوجة السلطان سليم الأوَّل (حك: 918-926هـ). حوَّل هذا البيمارستان في الوقت الراهن إلى متحف صحِّيّ. كان يعمل في هذا المستشفى كما تنصَّ وقفيَّته، رئيسٌ للأطباء، وجراح، وطبيباً عيون، ومتخصِّص بالأعراض النفسية، وصيدلانيّان، ومعاوناً صيدلانيّين، وممرضان، يعملان نهاراً وممرضان يعملان ليلاً، ومديرٌ، وأمين سرّ، وقصّار وطبّاخان. كان يحضَّر في هذا المستشفى سنويًّا ترياق¹ اسمه "مسيرمغنيسا"، يوزَّع على المرضى، وإذا وُجد فائض يوزَّع على الناس. كان في اسطنبول في ذلك الحين كما يُستخلص من مذكرات الصيدلانيّ رينولد لوبنو²، أحد مرافقي رودولف الثاني، ملك النمسا، في أثناء سفره إلى اسطنبول (995هـ/1587م)، 110 بيمارستانات (ص 168)، يتَّسع معظمها لعدد من 150 إلى 300 مريض. كان بعضها يستقبل المرضى على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم، وبعضها كان مخصَّصاً للمريضات. في الصفحتين 30 و 31 من الباب الثاني عشر من كتاب أنطونيوس منافينوس³ الجَنويّ- الذي نشره نيكولاوس هونيغر⁴ في العام 981هـ/1573م في بازل⁵، بعنوان <وصف المحافظة على قصور السلاطين العثمانيّين والدولة العثمانيَّة>⁶ - يجري الحديث عن ال "تيمارخانة" [دار المجانين]، الذي كان السلطان بايزيد الثاني قد بناه في اسطنبول، وكان يُعالج في أحد غرفه الكبرى أربعين مريضاً نفسياً كلاً على حدة، وكان فيه 150 ممرضاً. لكن من غير المؤكّد إن كان هذا المستشفى هو نفسه البيمارستان الذي بناه بايزيد الثاني في اسطنبول، أو مبنى آخر. تحدّث ويلهلم ديليش⁷ أيضاً الذي زار إسطنبول في

¹ - mithridatikum

² - Reinhold Lubenau

³ - Antonius Menavinus

⁴ - Nicolaus Höniger

⁵ - Basel

⁶ - Hofhaltung des türkischen kaisers und oltomanische Reiches Beschreibung.

⁷ - Wilhelm Dilich

بداية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، عن بيمارستان بايزيد الثاني، بجانب مسجد بايزيد في إسطنبول. وأشار ديليش (ص 52) إلى بيمارستان آخر، كان السلطان سليم ابن السلطان سليمان القانوني، قد بناه في السنة الثالثة من جلوسه على عرش السلطنة، إنَّما لم يُعثر عليه حتى الآن. نذكر فضلاً عن هذه اليمارستانات، بيمارستان مجموعة السلطان أحمد الذي كان قد بُني في العام 1025هـ، وزال من الوجود في القرن المنصرم (إيوانسراي، مج 1، ص 18-19).

أبرز سمات اليمارستانات العثمانية، أنَّها كانت دائماً جزءاً من مجموعة مؤلَّفة من المسجد والمدرسة و "العمارة" [إطعام خانة= المضافة= دار الإطعام]، وتابخانة [نوع من أنواع دور العجزة]، ومحطة القوافل [الخان]، والحمام، والسوق، و "النبع" [= حران مياه خيري]، ومبانٍ من هذا القبيل.

يُلاحظ في اليمارستانات العثمانية استمرار التقاليد المعمارية السلجوقية (دار الشفاء إيلدرم بايزيد في بورصة، ودار الشفاء حفصة خاتون في مغنيسا)، لكن في بيمارستانات عصر التحديث شاع استخدام العناصر المعمارية الجديدة (مثل بيمارستانات اسطنبول، إنجاز سينان). "دار الشفاء" بايزيد الثاني في أدرنه، إنجاز المعماري خير الدين أنرُ تاريخي نادر المثال في تاريخ اليمارستانات، كان يشكّل كما يقول أولياء شلبي (مج 3، رقم 449، الورقتان 163 و 164 و) مع المدرسة المجاورة له، المختصة بتدريس الطبّ مركز الثقل في مجموعته، على العكس من المجموعات السابقة، التي كان المسجد في معظمها هو مركز الثقل. يدلّ التشابه بين الخصائص المعمارية لدار الشفاء جوهر نسب في قيصريّة، ومدرسة السلطان غياث الدين الطيبية في جوارها، على أنّ التركيز في هذا اليمارستانات كان على الجانب العمليّ أكبر من الجانب النظريّ. يتألّف هذا اليمارستان من مبنى رئيسيّ مسدّس الزوايا، فيه ستّ محوّطات مقببة، تحيط بمحوّطة مركزية قبتها أكبر. في الباحة الصغرى المتصلة بها، مبنى إداريّ هو على الأرجح المستوصف، وغرف الباحة المركزية الستّ، ومكان حجز المجانين الخطرين، والمطبخ وغرفة الغسيل. في القسم النهائيّ منه ممرٌ يصل باحة اليمارستان بالمدرسة الطيبية. يتضمّن المبنى الأساسيّ باحة مركزية، مسقوفة بقبة، وفي وسطها حوض. لُحظَ في محيط الباحة ستّة مواضع لإيواء المرضى في الشتاء، وستّة لإيوائهم صيفاً. يبدو أنّ الغرفة المقابلة للمدخل كانت غرفة موسيقى؛ فهي مبنية على نحوٍ مجهّز صوتياً بالكامل. في العام 861/1457م وضع أنطونيو

فيلارته¹، خريطة مبنى اوسبداله ماغيوره [مستشفى ماغيورة] في ميلان، ولحظ فيه التهوية المركزية، وبعد ذلك بثلاثين عاماً بنى المهندس المعماريّ خير الدين في أدرنة، بأمر من السلطان بايزيد الثاني، دارَ الشفاء الذي يُعدّ الأوّل من نوعه من حيث التجهيز الصوتيّ لغرفة الموسيقى، ومن حيث تأمين التهوية المركزية على حدّ سواء. يتحدّث شتورم² في <الدليل الكامل للمستشفيات المخصّصة للعجزة والمرضى>³، الذي نُشر في أوغسبورغ في العام 1132هـ/1720م، عن التشابه بين مخطّط الأبراج ملاقيف الهواء التي كانت تقام فوق القبّة المركزيّة للبيمارستانات، والبرج الملقف في دار الشفاء بايزيد الثاني. وذلك أنّ خير الدين حلّ مشكلة تهوية الغرف من خلال وصل الغرف الصيفيّة ببرج التهوية، وتجهيز الغرف الشتويّة بروازن [فتحات] لسحب الهواء (ترزي أوغلو، 1985م، ص 16-24). لذا فإنّ أجهزة التهوية في المستشفيات الأوروبيّة والأميريّة في القرن الثالث عشر الهجريّ/التاسع عشر الميلاديّ تشبه إلى حدّ كبير طرق التهوية في دار الشفاء بايزيد الثاني في أدرنة (كون، ص 519، 884، الصورة 420، ص 941، الصورة 444).

في العصر الذي كان فيه المرضى النفسيّون في أوروبا يُحرقون، لُحِظت في دار الشفاء بايزيد الثاني في أدرنة، جميع التدابير اللازمة لتطبيب المرضى، ومن ضمنهم المرضى النفسيّون، وفوق ذلك غرفة موسيقى، كما جُهّز المستشفى بنظام تهوية اقتصاديّ، يمكن أن يكون المثال الذي احتذته المستشفيات في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريّين/الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديّين.

شُيِّدت في أدرنة وإسطنبول بيمارستانات لرجال البلاط، سواء الذين يعيشون داخل القصور والحرملك، والذين يعيشون في خارجها، لا تزال آثارها باقية حتى الآن، من بينها، "خسته لِق اوده سى" [غرفة المرضى]، التي كانت قد جُهّزت في عهد السلطان سليمان القانونيّ في قصر طوبقابي سراي ل "البستانيّين" [= حرس السلطان؛ ← بُستانيّ*] وظلّت حتى العام 1248هـ، تاريخ هدمها، تعمل باسم "دار الجراحة العامرة"، كمدرسة عليا متقدّمة للجراحة.

من ضمن البيمارستانات العديدة التي كانت قد أُسّست في قصر طوبقابي سراي، لم يبق سوى البيمارستان الذي شُيِّد بأمرٍ من السلطان محمّد الفاتح، وصار على صورته الحاليّة في القرن العاشر الهجريّ، في زمن السلطان سليمان القانونيّ. كان هذا البيمارستان يُسمّى

¹ - Antonio Filarete

² - L. ch. Sturm

³ - Vollständige Anweisung spitäler für Alte und kranke.

"جاريه لر خسته خانه سي" [مستشفى الجوارى]، ومخصّص لتطبيب نساء الحرملك. هنالك شبه كبير من حيث الخصائص المعماريّة، بين المستشفى الملكيّ بالهاوس بلاتس¹ في فيينا في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، ومستشفى سانت ياكوبس [القديس يعقوب] في درسدن² (البناء: 943هـ/1536م)، ببيمارستان الإيلدرم [السلطان] بايزيد في بورصة.

في القرن الحادي عشر الهجريّ/السابع عشر الميلاديّ كانت البيمارستانات العثمانيّة منتشرة في جميع أنحاء الدولة العثمانيّة من بودابست حتى كريمة، ومن سالونيك حتى مكّة، وكانت تعمل كلّها، وبلغت عصرها الذهبيّ في عهد السلطان محمّد الرابع (1058-1098هـ) (أولياء شلبي، ط. دانيشمان، مج10، ص35، مج11، ص216، مج12، ص1080، مج14، ص266). ففي تلك الآونة كان في اسطنبول وحدها 183 مستشفى تستقبل المرضى (← شترن³، ص100-101).

في أوائل القرن الثالث عشر الهجريّ، بدأ تجهيز المستشفيات الحديثة على النمط الأوروبيّ، والمراكز الطبيّة-التعليميّة العصريّة.

تبيّن الرسالة المؤرّخة في 18 ذي القعدة 1219هـ [17 شباط 1805م]، المرسلّة من وزير "البحريّة" إلى "الباب العاليّ" (سجلّ محفوظات الولايات العثمانيّة، جودت-البحريّة، رقم 1259)، المتعلّقة بتعيين رئيس الأطباء، ورئيس الجراحين لـ "الأوسبيتاليا"⁴ [المستشفى]، أنّ هذه المؤسّسة كانت مركزاً تعليمياً حديثاً، أسّست بهدف إعداد الأطباء والجراحين للخدمة في "ترسانة قاسم باشا العامرة" [مصنع السفن]. في الثالث من ذي الحجّة من العام 1254هـ/1838م، تقليداً ليوزفينوم⁵ في فيينا، افتُتح في غلطة سراي [قصر غلطة] "مكتب طبيّة عدليّة شاهانه" [مدرسة الطبّ الملكيّة العدليّة]، لتدريس الطبّ الحديث، مع مستشفى تعليمي تابع لها (ترزي أوغلو، 1990م، ص129-133). في العام 1258هـ/1842م، استدعيّ الدكتور لورنتس ريغلر⁶ النمساويّ إلى اسطنبول لعصرنة المستشفيات العسكريّة؛ فأعاد تجهيز البيمارستان العسكريّ في محلّة مال تبه، الذي كان قد شُيّد في زمن السلطان محمود الثاني، على طراز اليوزفينوم في فيينا، وكان له دورٌ كبيرٌ في مخطّط الأبواب الستّة للبيمارستان العسكريّ الجديد وتجهيزه. في العام 1259هـ/1843م، أنشأت والده السلطان عبد المجيد

¹ - Balhausplatz

² - Dresden

³ - Stern

⁴ - Spitalia/Hospital

⁵ - Josefinum

⁶ - Lorenz Rigler

بیمارستان "المسلمون الغرباء"، تقليدًا على الأرجح لـ "الجمينه كرانكنهاوس"¹ [البیمارستان العمومي] في ميونيخ، وكان أول مستشفى عموميّ عثمانيّ جديد. كذلك فإنّ بیمارستان أطفال الحميدية، الذي افتتح في العام 1317هـ/1899م في محلة شيشلي، هو مستشفى حديث للأطفال، على غرار مستشفى الأطفال كايزر وكايزرين فردريش² في برلين. بدأ بعد هذه المؤسسات إقامة بیمارستانات التركيّة الجديدة، وحلّ الاسم "خسته خانه" محلّ الأسماء: بیمارستان، بیمارخانه، تیمارخانه، شفاخانه، ودار الشفاء.

المصادر والمراجع: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط. 3 نزار رضا، بيروت 1965م؛ ابن بطوطة، الرحلة، بيروت [لا تا.]؛ ابن جبير، الرحلة، بيروت 1400هـ/1980م؛ ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ط. إحسان عبّاس، بيروت 1968-1972م؛ ابن دقماق، كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بولاق 1310هـ/1893م، ط. أوفست بيروت [لا تا.]؛ ابن فضل الله العمريّ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط. تشنر، لايبزيغ 1929م، فيسبادن 1968م؛ ابن النديم، الفهرست، ط. رضا تجدد، طهران 1350ش [1971م]؛ ابن هشام، السيرة النبويّة، ط. مصطفى السقا و ابراهيم الأبياريّ، وعبد الحفيظ شلي، القاهرة 1375هـ/1955م؛ محمّد ظلي بن درويش أولياء شلي، سياحتنامه [مدوّنة الرحلة]، النسخة الخطيّة في المكتبة السليمانية، [قسم] بشير آغا، رقم 449، 452؛ حسين إيوانسرايي، حديقة الجوامع، اسطنبول 1281هـ؛ [شرف الدين بن شمس الدين البديسيّ، شرفنامه: تاريخ مفصّل كردستان، ط. محمّد عبّاسي، ط. أوفست طهران 1343ش [1964م]؛ فتح بن عليّ البنداريّ، تاريخ السلالة السلجوقيّة: زبدة النصره ونخبة العصوره، النسخة الفارسيّة، ترجمة محمّد حسين الخليليّ، طهران 1356ش [1977م]؛ مصطفى شلي جلال زادة، طبقات الممالك ودرجات المسالك، النسخة الخطيّة في المكتبة السليمانية، [قسم] آيا صوفية، رقم 3296؛ محمّد بن إبراهيم الزرّكشيّ، تاريخ الدولتين، تونس 1289هـ؛ أحمد بن خالد السلاويّ، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ط. جعفر نصريّ ومحمّد نصريّ، الدار البيضاء 1954-1956م؛ حسن عبد الوهاب، "الطبّ العربيّ في أفريقيا"، مجلة الفكر العربيّ، مج 3، العدد 10 (1958م)؛ أحمد عيسى، تاريخ بیمارستانات في الإسلام، دمشق 1357هـ؛ محمّد قاسم بن غلامعلي فرشته، تاريخ فرشته، أو گلشن ابراهيمي [الروضة الإبراهيميّة]، لكهنو 1281هـ؛ عليّ بن يوسف القفطيّ، تاريخ الحكماء، وهو

¹ - Allgemeine Krankenhaus

² - Kaiser und Kaiserin Friedrich Kinderkrankenhaus.

مختصر الزوزنيّ المسمّى بالمنتخبات المتقطعات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ط.
ليبرت، لايزيغ 1903م؛ أحمد بن عليّ القلقشنديّ، صبح الأعشى، القاهرة 1910-
1920م؛ عبد الواحد بن عليّ المراكشيّ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط. دوزي، ليدن
1881م؛ عليّ بن الحسين المسعوديّ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط. محيي الدين عبد
الحמיד، القاهرة 1367هـ/1948م، بيروت 1384-1385هـ/1964-1965م؛ أحمد
بن محمّد المقرّيّ، نفع الطيب، ط. إحسان عبّاس، بيروت 1388هـ/1968م؛ أحمد بن عليّ
المقريزيّ، كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، بولاق 1270هـ؛ أحمد بن إسحق
اليعقوبيّ، كتاب البلدان، ط. دخويه، ليدن 1892م؛
أجنبيّ...

إرسالن ترزي أوغلو ملخصاً من (د. أ. د. التركية)

إيران. بيمارستان جنديسابور، أقدم بيمارستان إيرانيّ، تتوافر المعلومات عنه. من
الصعب إبداء رأي حاسم حول تاريخ تأسيسه، وبانيه، ومدرسته الطبيّة الشهيرة، لكنّ ما حكاه
الفردوسيّ (مج7، ص 252) عن إعدام مانيّ شقناً مقابل بيمارستان جنديسابور، يدلّ دلالة
قاطعة، على أساس الرواية المتداولة على الأقلّ في عصر الشاعر، أنّ هذا البيمارستان كان
موجوداً في عصر سابور الثاني (309 أو 310-379م) (قارن الدينوريّ، ص 47). سرعان
ما وسّع هذا البيمارستان في عصر كسرى أنوشروان (531-579م)، بمساعدة السريان
النساطرة، وحظي بالشهرة، ووصل إلى أوج مجده وعظّمته (إقبال الأشتيانيّ، ج1، ص
216؛ دانلب، ص 219؛ قارن كريستن سن، ص 445؛ الغود، ص 46-47). بعد أن
دخل الإسلام خوزستان (البلاذريّ، ص 370 وما بعدها) لم يلحق أيّ أذى بالمدرسة ولا
بالبيمارستان (نصر، ص 396). والظاهر أنّ المسلمين كانوا يعرفون هذه المدينة وبيمارستانها
من قبل، فبعد وقت وجيز، استدعى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم الحارث بن كلدة، الذي
كان قد تلقّى العلم في جنديسابور لتطبيب أحد الصحابة في الحجاز (ابن جلجل، ص 54؛
قارن الغود، م. ن، ص. ن؛ نسيمي، ص 823، الذي سُمّي آخريين من العرب تلقوا العلم في
جنديسابور). استطاع هذا البيمارستان، الذي فقد بعد سقوط الساسانيين دعم الحكومة
المركزيّة الماليّ والمعنويّ، أن يصمد ثلاثة قرون بعد ذلك، بفضل جهود أطبائه وأساتذته
وإيرانيّ الناحية، وأن يتحوّل إلى أهمّ صلة وصل بين الثقافة الإسلاميّة الناشئة وبين الحضارات

الإيرانية والهندية واليونانية، وأن يكون أولَ مركزٍ طبيٍّ في الحضارة الإسلامية. علماً أن هنالك إشارات إلى علاقة أطباء بيمارستان جنديسابور ومدرسته ببلاط الخلفاء الأمويين (عيسى، ص 63)، لكنَّ علاقة هذا البيمارستان الرسميَّة بعاصمة الخلافة الإسلاميَّة بدأت في عهد المنصور العبَّاسيِّ الذي استدعى الطبيب جورجيس بن بختيشوع، رئيس بيمارستان جنديسابور إلى بغداد، لمعالجته (القفطي، ص 158-159). منذ ذلك الحين بدأ أطباء جنديسابور، لا سيَّما ذوو المكانة الرفيعة من عائلة بختيشوع تدريجيًّا بالانتقال إلى بغداد، حيث نالوا الحظوة لدى الخلفاء والوزراء، كما نالوا تقدير الناس واحترامهم (← الجاحظ، ص 145). يمكننا أن ندرك كذلك أهميَّة بيمارستان جنديسابور، من تسمية جنديسابور باسم "مدينة بقراط" (براون، ص 23). لا تتوافر معلومات عن تاريخ انهيار بيمارستان جنديسابور، الذي استمرَّ ناشطاً على الأقلَّ إلى حين وفاة سابور بن سهل (255هـ)، آخر من ذكر اسمه رئيساً لهذا البيمارستان (ابن النديم، ص 355).

يُعدُّ التنظيم الإداريِّ والعلميُّ للبيمارستانات الإيرانيَّة في المرحلة الإسلاميَّة، الذي كانت نشأته في جنديسابور، ومنها انتقل إلى سائر أنحاء العالم الإسلاميِّ، من أرقى نماذج المؤسَّسات العامَّة في الشرق الإسلاميِّ، لا سيَّما في إيران. وعلى الرِّغم من أن الذين كانوا يتولَّون الإشراف العامَّ على البيمارستانات، لم يكونوا من ذوي الاختصاص، كان "الساعور" (القفطي، ص 397) أو "متولي" البيمارستان، أو في الحقيقة المدير الداخليِّ له، أحدَ الأطباء دائماً، وهو الذي يتولَّى رئاسة الأطباء الآخرين. كانت البيمارستانات الكبرى تقسَّم إلى قسمين رئيسيين: قسم المرضى العابرين، وقسم المرضى النزلاء؛ المرضى العابرون يذهبون بعد أن يعالينهم الطبيب إلى صيدليَّة المستشفى للحصول على الدواء (ابن أبي أصيبعة، ط. القاهرة، مج 2، ص 243)، أمَّا المريض الذي يجب، بعد تشخيص الطبيب، أن يتلقَّى العلاج في المستشفى، فيُنقل إلى القسم الخاصِّ بمرضه، وفي كلِّ قسم من هذه الأقسام، بما فيها قسم الأمراض الداخليَّة، والتجبير، والجراحة، وطبَّ العيون (← م. ن، مج 1، ص 254، 310)، عددٌ من الأطباء والمساعدين والخدم مناسبٌ لأهميَّة المرض ولعدد المرضى، وكان هنالك عدد من العاملين يخدمون في البيمارستانات بصفات مختلفة، مثل "الوكيل"، و"الناظر"، و"أمين الخزانة"، و"الحارس" (ابن الجوزي، مج 7، ص 112). فضلاً عن هؤلاء كان هنالك أيضاً أشخاص يُشرفون على أموال الوقف، وعلى وجوه إنفاقها (ابن أبي أصيبعة، ط. بيروت، مج 2، ص 203).

كانت البيمارستانات في معظم الأحيان، تُدار من ريع الأوقاف الكثيرة، التي كان يقفها عليها مؤسسوها، أو بهبات الأمراء والوزراء والأثرياء، أو الأسهم التي يقررونها لها في وصياتهم. ومن هذه السبل نفسها كانت تؤمن رواتب الأطباء والعاملين، ونفقة علاج المرضى وأئمان أدويتهم، ونفقات استشفائهم وإطعامهم. كان البيمارستان، الذي يُبنى عادةً في نقطة من أفضل نقاط المدينة طيبَ مناخ، ووفرة مياه، يتضمّن فضلاً عن الأقسام الاستشفائية المتعدّدة، جناحاً لإقامة الأطباء، وطلبة الطبّ (على سبيل المثال ← رشيدالدين فضلا الله، 1977م، ص 224، 234). إنّ إقامة الأطباء قرب البيمارستان من الظواهر المهمّة في تاريخ البيمارستانات، فقد كان البيمارستان فضلاً عن وظيفته العلاجية والاستشفائية، يُعدّ المركز الأساسي لتعليم الطبّ (← الطبّ*)، ويلغى الفرق بين الطبّ النظريّ والطبّ التجريبيّ والعمليّ. فضلاً عن البيمارستانات الكبرى المعروفة، كان لدى جميع المدارس ذات الأوقاف، حتى العصور المتأخّرة، مستشفى، فيه أطباء موظّفون، يتولّون معالجة المرضى وتعليم الطلبة (نفيسي، ص 19). من الظواهر اللافتة الأخرى، المستشفيات السيّارة أو "المحمولة"، التي كانت تقدّم خدمات جُلّي، لا سيّما في أثناء الحروب، أو تفشّي الأوبئة. كانت هذه البيمارستانات وملحقاتها، بما في ذلك الطبيب والممرّض والصيدليّة، والآلات والأدوات الطبيّة، والجراحية، وحتى ثياب المرضى، تُحمّل كلّها على الدوابّ (عماد الدين الكاتب، ص 124). هذه المستشفيات السيّارة، كانت تنفقد حتى السجون، كما كانت تُرسَل أحياناً بأمر أحد الأمراء إلى النواحي البعيدة لتطبيب الناس من مختلف الطبقات، من المسلمين وغير المسلمين (نفيسي، ص 21).

كانت تأسيس البيمارستانات في إيران بعد الإسلام أمراً شائعاً، مع ذلك فإنّ المعلومات عن أوّل البيمارستانات في هذه المرحلة ضحلة جدّاً، كما أنّ تحديد تاريخ تأسيسها أمرٌ صعب. لأنّ هذه المؤسسات تكون على الأرجح صغيرة في بداية الأمر، وغير ذات أهميّة، ومن ثمّ تتوسّع، وتصبح ذات أهميّة. فالمستشفى الشهير - الذي تولّى الرازيّ رئاسته أكثر من مرّة - يمكن حسابانه استناداً إلى الآثار والقرائن التاريخية والجغرافية، عائداً إلى عصر ما قبل الإسلام (كريمان، مج2، ص 362)، إنّما لا يمكننا تحديد تاريخ بعينه. كان في زرنج من نواحي سيستان بيمارستان أيضاً، بنى عمرو بن ليث الصفاريّ بجانبه سوقاً، وقفَ قسماً من مداخيلها عليه (الأصطخريّ، ص 241). والظاهر أنّ هذين المستشفيين كانا من أقدم المستشفيات الإيرانية بعد الإسلام (نجم آبادي، مج2، ص 768). يمكننا أن نذكر بعدهما المستشفى العضديّ في شيراز، الذي أسّسه عضد الدولة الديلميّ. في الحقبة نفسها، كان في إصفهان

بیمارستان مهمم، يُطَبَّب فيه ابن مندويه الإصفهانيّ، أحد الأطباء المشهورين في القرن الرابع الهجريّ (ابن أبي أُصَيْبَةَ، ط. القاهرة، مج2، ص 21-22)، وهذا الیمارستان يعود ربّما إلى العصر البويهیّ (نجم آبادی، م. ن، ص. ن).

في ذلك الحین، بُني في ترمذ بیمارستان جُعِلت له أوقاف خاصّة، بفضل أبي الحسن محمّد بن الحسن (ابن حوقل، ص 454-455). في فيروزآباد من نواحي فارس، كان هنالك أيضًا بیمارستان مهمم، أتى على ذكره ابن البلخيّ (ص 139).

في القرن الخامس الهجريّ، كان في المدن الإيرانيّة عددٌ من الیمارستانات العاملة، تتوافر معلوماتٌ عن بعضها. فقد بنى أبو سعيد النيسابوريّ الملقّب بالخرکوشيّ (المتوفى سنة 407هـ)، أحد الفقهاء الزهّاد في ذلك العصر، بیمارستانًا في نيسابور (الأسنويّ، مج1، ص 228-229)، ربّما يكون هو نفسه الیمارستان الذي سكن الخطيب السمرقنديّ في حديقته، في العامّ 409هـ، حين قدّم إلى نيسابور (الصريفينيّ، ص 214).

بنى الخواجة نظام الملك أيضًا بیمارستانًا كبيرًا في نيسابور (السُّبكيّ، مج4، ص 314)، قيل إنّ نفقاته اليوميّة بلغت ألف دينار- من صندوق الصدقات- (عيسى، ص 268، نقلًا عن ابن المُلَقَّن). كان في خوارزم كذلك بیمارستانًا رآه ابن بطوطة في العامّ 733هـ، وذكر اسم طبيبه المدعو الصهيونيّ (ص 366). كان في مرو كذلك بیمارستان يُطَبَّب فيه عيسى بن ماسه (ابن البيطار، مج2، ص 15).

في القرن السابع الهجريّ بُني في شيراز عاصمة أتابكة فارس عدّة بیمارستانات كبيرة وذات أهميّة بأمرٍ من اثنين من وزراء هذه العائلة. فقد بنى كلٌّ من الأمير مقرب الدين مسعود والأمير فخرالدين أبي بكر، وزيرَي أبي بكر بن سعد بیمارستانًا، وجعلا له أوقافًا (زرکوب الشيرازيّ، ص 59-60). في الحقبة نفسها بُني أيضًا الیمارستان المظفريّ في شيراز، اشتغل فيه العلامة قطب الدين الشيرازيّ، الطبيب والفيلسوف الشهير لمدة عشر سنوات (الفسائيّ، مج2، ص 1148-1149). في ذلك الحین، بُني أيضًا في يزد الیمارستان الصاحبیّ الكبير، باسم الخواجة شمس الدين محمّد صاحب الديوان، الذي عيّن مكانًا لتأمين نفقات الأطباء والمرضى، ووقف قسمًا من قريةٍ عليه (الجعفريّ، ص 111-113). ورد كذلك ذكرُ بیمارستان في کرمان، بنته قُتُلُغ تَرَكان خاتون، ملكة کرمان، القراخطائيّة المعروفة، وزوجة قطب الدين محمّد (نفيسي، ص 18). لكنّ الیمارستان الإيرانيّ الأكبر في القرنين السابع والثامن الهجريّين، هو الذي بناه رشيدالدين فضل الله الهمدانيّ وزير غازان خان. كان هذا

البيمارستان الذي بناه في تبريز في الربع الرشيدى، يتضمّن أجنحةً إستشفائيةً عديدة، وصيدليّة، ومساكن للأطباء والعاملين، وأورد في وقفيّته، أن يقوم الأطباء العاملون فيه بتدريس الطبّ أيضاً (ص 180-183). كان هذا البيمارستان أحد البيمارستانات، التي طلب رشيدالدين فضل الله من ابنه جلال الدين في آسيا الصغرى، أن يُرسل إليها خمسمائة من [المنّ معيار قديم يُكال به أو يوزن وقدره إذ ذاك رطلان بغداديان] من الأدوية المختلفة (نفسه، 1979م، ص 92؛ قارن براون، ص 105). جمع رشيدالدين في هذا البيمارستان فريقاً من الأطباء المهرة من مختلف أنحاء العالم الإسلاميّ، واختار لكلّ منهم مساعدين من طلبة الطبّ (نفسه، 1977م، ص 224). كانت مساكن الأطباء تقع في محلة الصالحية بالقرب من البيمارستان (م. ن، ص 180). الأوصاف المفصلة لأوقاف بيمارستان تبريز، مدوّنة في وقفيّة الربع الرشيدى. أعاد رشيدالدين كذلك العمل في البيمارستان الأتابكيّ في شيراز، الذي كان في حالة انهيار، وعيّن الطبيب محمود بن إلياس الشيرازيّ مشرفاً عليه، كما أطلق العمل أيضاً من جديد في بيمارستان همدان (الغود، ص 312).



الصور لهما عدالت ونیما جهانین

قنطرة مدخل خرائب بيمارستان مرسلين (أول بيمارستان في كرمان).

الظاهر أن تلك الجهود الحثيثة، لم تفلح في تحسين أوضاع البيمارستانات التي بدأت تتدهور تدريجيّاً. فعلى الرّغم من أن تيمور كان قد أصدر أمراً بإنشاء مستشفى واحد على الأقلّ في كلّ مدينة من المدن الواقعة في نطاق حكمه (تيمور الغوركانيّ، ص 368، 370)، آلت هذه المؤسّسات إلى الانهيار، واستمرّ الوضع على هذا النحو في العصر الصفويّ، وكما قال رافاييل دومانس¹، كان الناس على الرّغم من وجود مستشفى أو اثنين في كلّ مدينة من المدن الكبرى، لا يعيرونها اهتماماً، حتى أنّهم كانوا يسمّونها "دار الموت" (الغود، ص 398). أدّت الاضطرابات السياسيّة والعسكريّة الداخليّة والخارجيّة في أواخر العهد الصفويّ، والتي امتدّت حتى العصر القاجاريّ، دفعةً واحدةً إلى انهيار البيمارستانات الإيرانيّة، ونهب أوقافها الواسعة والقيّمة. فقط، ابتداءً من عصر فتحعلي شاه القاجاريّ وما بعده، ظهرت

¹ - Raphael Du Mans.

بیمارستانات تعدّ على الأصابع هنا وهناك، على النمط القديم، لا يمكن على الإطلاق مقارنتها من حيث التنظيم الإداري، والطبيّ بالبيمارستانات الكبرى المهمّة في العصور السابقة. فضلاً عن البيمارستان الذي بناه فتحعلي شاه في طهران، والذي هُدم حين شُقَّ شارع بوذرجمهري (نفيسي، ص 3)، في عصر ناصرالدين شاه، خصّص أيضاً الحاج الميرزا حسين خان السبهاالار الأعظم، في وقفيّة مبنى المدرسة الناصريّة، التي عُرفت في ما بعد بمدرسة سبهاالار، قسماً من المبنى للبيمارستان (م. ن، ص 19). منذ ذلك الوقت وإلى حين تأسيس البيمارستان الإيرانيّ على النمط الحديث في طهران، ليس في متناولنا معلومات عن إنشاء بيمارستانات في إيران، باستثناء بيمارستانات البعثات التبشيريّة والأجنبيّة.

البيمارستانات الحديثة. في الحقبة نفسها التي تهدّمت فيها البيمارستانات الإيرانيّة، وآلت إلى الزوال، بدأت بعض الدول الأوروبيّة الساعية إلى بسط نفوذها في سواحل الخليج الفارسيّ والمحيط الهنديّ، مباشرةً، أو بواسطة الشركات التجاريّة، أو الخدماتيّة التابعة للبعثات الدينيّة المرتبطة بها، بتأسيس البيمارستانات في المدن والسواحل الإيرانيّة. يجب عدّ تأسيس هذه البيمارستانات، على الرّغم من أنّها كانت في البداية صغيرة، ولم تحظَ بترحيبٍ يُذكر من السكّان المحليّين، مقدّمة دخول الطبّ الأوروبيّ إلى إيران. من الواضح أنّ إدارة تلك المراكز العلاجيّة كانت في أيدي منشئها، وفي معظم الأحيان كانوا هم الذين يتولّون الإنفاق عليها. أوّل بيمارستان تبشيريّ في إيران، قبل احتلال القوّات الإيرانيّة-الإنجليزيّة في العام 1032هـ/1622م جزيرة هرمز، بناه البرتغاليّون في تلك الجزيرة. قدّم هذا البيمارستان المسمّى "ميسري كورديا"¹، والذي كان بإدارة رهبان فرقة أوغسطين، الكثير من الخدمات الخيريّة، وذات المنفعة العامّة، شاهد جان فراير²، طبيب شركة الهند الشريقيّة، في أواخر العصر الصفويّ في العام 1088هـ/1677م، في قرية صغيرة بالقرب من ميناء غمّبرون (بندر عبّاس)، بيمارستانين جميلين ونظيفين. كان الهولنديّون قد بنوا أحدهما، والآخر بناه مصرفيّ هنديّ يعمل في خدمة شركة الهند الشريقيّة (ألغود، ص 399). فقد أسّست هذه الشركة في عدد كبير من موانئ الخليج الفارسيّ المهمّة محاجر صحيّة [قرنطينات] ومستشفيات، وافتتحت حوالي العام 1140هـ/1727م مستشفى صغير في غمّبرون، تولّى رئاسته الدكتور فوربر³. كان بيمارستان البصرة على ما يبدو أهمّ المراكز العلاجيّة التابعة للشركة، وقد نُقل إلى بوشهر

¹ - Misericordia

² - J. Fryer

³ - Anthony Forbes.

بعد أن قرّر كريم خان الزنديّ شنّ حملة على البصرة (م. ن، ص 408، 431). بعد أن بسطت الحكومة البريطانيّة رسمياً سلطتها في المنطقة بديلاً من الشركة، تولّى إدارة هذه البيمارستانات ممثّلو هذه الحكومة السياسيّون. في أوائل القرن الثالث عشر الهجريّ/أواخر القرن الثامن عشر الميلاديّ أسّس أيضاً "المندوب الدائم" للحكومة البريطانيّة بيمارستاناً في بوشهر (رايت، ص 122). أسّست شركة البرق الهندوأوروبيّة¹، التي كانت في أيدي الإنجليز في بعض نواحي الخليج الفارسيّ الساحليّة مستوصفات وصيدليّات. تُحسب الحاجر الصحيّة [القرنطينات] الحدوديّة الإنجليزيّة في الموانئ الإيرانيّة أيضاً من ضمن المراكز العلاجيّة الجديرة بالذكر، في بداية تأسيس البيمارستانات الحديثة في إيران. كانت هذه القرنطينات تقدّم في الموانئ التي تخلو من البيمارستانات والأطباء، خدمات جليّ، وكانت بالإضافة إلى مهمّاتها تقوم بمعالجة المرضى المحليّين، لا سيّما الفقراء (سديد السلطنة، ص 169).

أسّس الروس كذلك، الذين كانوا يسعون لإيجاد منطقة نفوذ لهم، أوّل بيمارستان في العام 1264هـ/1848م للملاحي سفنهم، وحصلوا على امتياز إنشاء بيمارستان آخر في استرآباد (ألغود، ص 512؛ تيموري، ص 269-273). مع ذلك لم يؤدّ هذا النوع من البيمارستانات إلى انتشار البيمارستانات الحديثة في إيران. وذلك على الرّغم من أنّ طبيب بعثة الجنرال غوردن الفرنسيّ، قد أسّس في عصر فتحعلي شاه القاجاريّ مركزاً علاجياً في العاصمة (ألغود، ص 441)، فإنّ التأسيس الرسميّ للبيمارستانات الحديثة في إيران بدأ في عصر ناصرالدين شاه.

في العام 1288هـ/1871م، أمر حسين خان مشيرالدولة سبهسالار، نفيسي ناظم الأطباء بإنشاء أوّل بيمارستان إيرانيّ في طهران على النمط الحديث. أسّس هذا البيمارستان في شارع خارج المدينة [اشتهر في ما بعد باسم شارع البيمارستان] (نفيسي، ص 19-20). بنى نفيسي أيضاً، بأمر من سبهسالار، بيمارستاناً حديثاً في مشهد، سُمّي دار الشفاء وظلّ مدةً طويلةً المستشفى الوحيد في مشهد (حكيم الممالك، ص 259؛ نفيسي، م. ن، ص. ن). في العام 1300هـ أسّس الدكتور جوزيف كوتشران، عضو البعثة التبشيريّة الأميركيّة في أروميّه بيمارستاناً في هذه المدينة باسم "وست مينستر"، وقام بتدريس الطبّ فيه (إيرانشهر، مج 2، ص 1449). افتُتح في طهران أوّل بيمارستان أميركيّ، كان مركزاً تعليمياً أيضاً في العام 1311هـ/1893م، وظلّ يعمل حتى العام 1359هـ/1941م. حيث توقّف عن العمل مع

¹ - Indo-European Telegraph

بدء الحرب العالميّة، وندرة الأطباء (م. ن، مج2، ص 1449-1450هـ). لكنّه بعد مدّة استعاد فاعليّته، وظلّ بإدارة الأميركيين حتى أواخر العام 1397هـ/1978م، تاريخ انتصار الثورة الإسلاميّة.

وسّعت البعثة الإنجليزيّة التابعة لـ "هيئة المبشرين المسيحيين، لندن" أنشطتها الطبيّة في جنوبيّ إيران، بسبب اهتمام الحكومة البريطانيّة بهذه المنطقة، وبنّت بيمارستانات مخصّصة للرجال وللنساء في كلّ من إصفهان وكرمان ويزد وشيراز، كانت المستشفيات الأولى في هذه المدن (رايت، ص 118-122). أسّس أوّل بيمارستان تبشيري، في حلفا، في حيّ الأرمن، وفي العام 1312هـ/1894م بدأ دورةً جديدةً من فاعليّته، مع قدوم الدكتور كار¹ إليه. كذلك أسّست السيّدة ماري برد² مستوصفين في ناحيتين من إصفهان، سرعان ما توقّفا عن العمل (ألغود، ص 534). بعد تأسيس مركز المبشرين المسيحيين في منطقة حلفا في إصفهان، بنى أعضاء البعثة، في حرم البعثة الواسع في العام 1314هـ/1896م بيمارستاناً وصيدليّة، وبعد ذلك بيمارستاناً للنساء. ومن ثمّ بنت هذه البعثة التبشيريّة بيمارستاناً في يزد في العام 1316هـ/1898م، وآخر في كرمان في العام 1319هـ/1901م، وفي العام 1342هـ/1924م بنت بتمويل محمّد حسين نمازي، دار التوليد في شيراز، الذي تحوّل في ما بعد بمساعدة إدارة البرق الهندوأوروبيّة إلى بيمارستان كبير (<جهان إسلام>³، ص 182). في العام 1343هـ/1925م، أسّس الدكتور كار (← الأسطر السابقة) بيمارستان مرسلين في شيراز (الكاظمي، حديث بتاريخ 25-7-2000). مع ذلك كلّه، يبدو أنّ السكّان المحليين لم يرحّبوا في بداية الأمر بهذه البيمارستانات؛ حتى أنّ أهالي إصفهان لم يسمحوا لأعضاء هذه البعثة ببناء مستشفى في الأحياء التي يسكنها المسلمون، لكنّ في نهاية المطاف بنى الدكتور كار في العام 1320هـ/1902م مستوصفاً في المدينة، ووهب تاجرٌ ثريّاً أيضاً قطعة أرض كبيرة لبناء مستشفى للرجال وللنساء. في هذه البيمارستانات كان الطلاب يتعلّمون فنون الطبّ، ومن ثمّ سمحت الحكومة الإيرانيّة لأساتذتهم بإصدار شهادات الطبّ، كما منحت 1333 سهماً من ميزانيّة الدولة لبيمارستان إصفهان (ألغود، ص 535). بنت البعثة التبشيريّة الأميركيّة كذلك في العام 1321هـ/1903م بواسطة الدكتور فانك⁴ بيمارستاناً في همدان، طوّر في العام 1335هـ/1916م. في العام 1323هـ/1905م شكّل في طهران أوّل "مجلس المحافظة على

¹ - D. W. Carr

² - Mary Bird

³ - The Moslem World.

⁴ - Fank

الصحة"، ودوّن له نظامٌ داخليّ يفيد بتأسيس قرنطينات [محاجر صحّيّة] في الموازيّ الإيرانيّة، ومركز تلقيح الجدريّ، وإنشاء بيمارستان خاصّ بالنساء والرجال (إيرانشهر، مج2، ص 1404)، وانتقلت إدارة بعض البيمارستانات الأجنبيّة إلى الحكومة الإيرانيّة. البعثة التبشيريّة الروسيّة، لم يكن لها نشاط يُذكر في مجال تأسيس البيمارستانات في إيران؛ في العام 1333هـ/ 1915م أرسل قنصل روسيا القيصريّة المدعو نيكيّتين لجنةً إلى طهران لمكافحة وباء الكوليرا، وقد أسّس رئيسها الدكتور كاش بيمارستانًا في المدينة، كان هو المؤسّسة الوحيدة التي تحظى بدعم البعثة الأرثوذكسيّة (تمدّن، ص 243-244).

أسّس بيمارستان "طهران" الأوّل بمساعدة الألمان للقوّات المسلّحة في أوّل الأمر، بإشراف الدكتور بولاك¹ والدكتور شليم² (رايت، ص 126-127؛ ألغود، ص 512). هذا البيمارستان الذي سُمّي في بعد "البيمارستان الحكوميّ" أو "البيمارستان الشاهنشاهيّ" تدهورت أوضاعه إلى حدّ تسميته بـ "مقبرة الأحياء" (سِرنا، ص 135). وُضع المستشفى الحكوميّ بعد مضيّ اثنتي عشرة سنة على تأسيسه في خدمة أبناء الشعب، وُبني للجيش مستشفى آخر (ألغود، م. ن، ص. ن)، وقد طلب مظفر الدين شاه بعد وقت وجيز من إيلبرغ³ طبيب السفارة الألمانيّة أن يعمل على تحديث نظامه. تطوّر هذا المستشفى الحكوميّ بفضل إشراف هذا الطبيب، الذي كان هو نفسه يعمل فيه، إلى حين مغادرة ممثليّات الدول الخليفة طهران في محرّم من العام 1334هـ/تشرين الثاني - نوفمبر من العام 1915م. غادر إيلبرغ إيران أيضًا، فعُيّن الدكتور لقمان الممالك، طبيب الشاه رئيسًا للبيمارستان (م. ن، ص 546)، لكنّ أوضاع هذا المستشفى اضطرت، لاضطرّام أوار الحرب العالميّة الأولى، وإعطاء قسم منه للروس، إلى أن وافقت الحكومة الإيرانيّة في العام 1337هـ/1918م، أن ترسل إنجلترا طبيين إليه، وأن تمنحه المساعدات الماليّة. وعمل فيه على أساس هذه الاتفاقيّة كلٌّ من الدكتور نليغان⁴ طبيب السفارة البريطانيّة، والدكتور سكوت⁵ رئيس القسم الطيّ في مديريّة البرق الهندوأوروبيّة (رايت، م. ن، ص. ن)، وثلاثة أطباء إيرانيّين هم: لسان شمس المعروف بلسان الحكماء، والميرزا محمّد خان العلائيّ، وموسى خان، بصفتهم أوّل الأطباء فيه (ألغود، ص 546-548). سرعان ما عُرف هذا البيمارستان باسم البيمارستان "الإنجليزيّ" (رايت، ص 127). في العام 1340هـ/1922م، حين بدأت الأوضاع السياسيّة في إيران تتّجه نحو معاداة

¹ - Polak

² - Schlimmer

³ - Ilberg

⁴ - Neligan

⁵ - Scott

انجلترا ونفوذها في البلاد، امتنعت الحكومة البريطانية عن تقديم الدعم المالي للمستشفى، وطلبت إلى شركة النفط الإيرانية- الإنجليزية أن تتولّى المحافظة عليه، واستمرّ بیمارستان يعمل بإشراف الأطباء الإنجليز والإيرانيين (ألغود، ص 554). سُمّي هذا بیمارستان في العام 1358هـ/1940م باسم "سینا" (نجمي، ص 421)، وتخلّص تدريجيّاً من سلطة الأطباء الإنجليز، وتولّى الإيرانيون إدارته بأنفسهم. لا يزال بیمارستان "سینا" حتى اليوم من أكبر بیمارستانات الحكومية وأرفعها مكانةً، يُدار بإشراف كلیّة الطبّ التابعة لجامعة طهران. بعد تأسيس بیمارستان الحكومي، أسّست في سائر المدن الإيرانية بیمارستانات جديدة تدريجيّاً، بمساعدة الأطباء الأجانب، أو بفضل الإيرانيين. ففي العام 1334هـ/1915م أسّس في بوشهر فضلاً عن بیمارستان التابع لمثليّة إنجلترا في المدينة (رايت، م. ن، ص. ن)، بیمارستان جديد بمساعدات ماليّة من التجّار المحليين، وبدأ عمله بإشراف طبيب إنجليزيّ، وتولّت إدارته هيئة مؤلّفة من إنجليزيين وإيرانيين (ألغود، ص 548). في السنة نفسها أسّست البعثة التبشيرية الإنجليزيّة بیمارستاناً في مشهد برئاسة الدكتور كوك، كما أسّس أيضاً بیمارستان شاهرضا في تلك المدينة بمساعدة الألمان. في طهران أيضاً قام الدكتور سعيد مالك "لقمان الملك"، الذي كان رئيس مجلس المحافظة على الصّحة، ثمّ رئيس "المديرية العامّة للصّحة"، بعد تأسيس معهد باستور الإيرانيّ، ببناء بیمارستان الوزيريّ (إيرانشهر، م. ن، ص. ن)، وعلى أساس الإحصاءات الحكومية في العام 1340هـ/1922م، وصل عدد بیمارستانات طهران إلى ثمانية (شهري باف، مج 1، ص 69). قام كذلك بإصلاح وتطوير بیمارستانات والقرنطينات في الموانئ في جنوبيّ إيران، التي ظلّ الإنجليز يُديرونها حتى العام 1346هـ/1928م، حيث تولّت الحكومة الإيرانيّة إدارتها، كذلك اشترى سفينة باسم ابن سینا خصّصها للأمور الصحيّة، ولقرنطينات الخليج الفارسيّ، وتطهير السفن الداخلة في المياه الإيرانيّة (إيرانشهر، م. ن، ص. ن).

في العام 1343هـ/1925م بنت بعثة "راهبات المحبّة"¹ مستوصفاً في أرومية، وفي العام 1353هـ/1935م مستوصفاً آخر في إصفهان، ومركزاً علاجياً في طهران. قامت "راهبات المحبّة" في المستشفيات الحكومية في المدن الإيرانيّة بأنشطة طبيّة وخيريّة (إيرانشهر، مج 2، ص 1452).

¹ - Soeurs de charite

فضلاً عن ذلك، في العام 1351هـ/1933م، بدأ مستشفى باسم المستشفى السوفياتي العمل في طهران، واستمرَّ ناشطاً حتى العام 1403هـ/1938م، حيث توقّف العمل فيه، إلى أن أُعيد افتتاحه في العام 1361هـ/1943م بطلب من الحكومة الإيرانيّة، وفي العام 1366هـ/1947م وُضع في عهدة اتحاد منظمات جمعيات الصليب الأحمر السوفياتيّة، وأُلحق في العام 1403هـ/1983م بجامعة طهران، وأُطلق عليه اسم بيمارستان الميرزا كوتشك خان. بعد أن عاد المستشفى السوفياتي إلى العمل في العام 1361هـ/1943م، افتتح فروعاً له في كلِّ من تبريز وأروميه ومشهد.

منذ زمن بعيد، بادر أهل الخير إلى تأسيس البيمارستانات الحديثة. فقد بنى آية الله الحاج السيّد رضا الفيروزآبادي، عالم الدين الشهير، صاحب الخدمات، بيمارستاناً كبيراً في العام 1354هـ/1936م في مدينة الرّي، سُمّيَ باسمه (م. ن، مج2، ص 1405)، وكان يُحسب من البيمارستانات الإيرانيّة ذات الأهميّة. في العام 1368هـ/1949م، أسّس تجّار طهران بيمارستاناً باسم "التجّار". في العام 1371هـ/1952م بُني من أموال أبي القاسم مفرح "بيمارستان مفرح" في طهران، وأوكلت إدارته إلى الحكومة، كما ورد في وقفيّته. أُسّست في بعض المدن أيضاً بيمارستانات خيريّة بدعم من العلماء، أو بإشرافهم، من بينهم الحاج الآغا نور الله الإصفهاني* في إصفهان، والحاج الشيخ عبد الكريم الحائري* في قم.

في العام 1356هـ/1938م بدأ بناء البيمارستان البهلويّ المعروف الذي يضمّ ألف سرير (بيمارستان الإمام الخميني، الحالي) في طهران، ووضع قيد الاستخدام في العام 1365هـ/1946م. يُحسب هذا البيمارستان اليوم من البيمارستانات الإيرانيّة الكبرى. في العام 1357هـ/1939م أُسّس بيمارستان خاصٌّ بمرضى السلّ في أحد المباني القديمة في شاه آباد (دار آباد) شميران. هذا البيمارستان طُوّر في ما بعد، وافتُتح أوّل مبانيه الكبرى في العام 1363هـ/1945م (م. ن، مج2، ص 1431).

في العام 1359هـ/1941م، أنشئت وزارة الصحّة، وتولّت الإشراف على جميع المحاجر الصحيّة [القرنطينات] الحدوديّة. ازدادت فعاليّة الحكومة الإيرانيّة لا سيّما بعد إنشاء وزارة الصحّة، لجهة إنشاء بيمارستانات جديدة في إيران. في العام 1360هـ/1942م أنشأت هذه الوزارة بيمارستان الفارابي، وبيمارستان النجاة وبيمارستان الشفاء، التي كانت من أكبر المستشفيات الإيرانيّة. في العام 1364هـ/1946م، بُني في محلّة الإماميّة في طهران بيمارستان آخر باسم "مصحّة بوعلّي"، مخصّص لمرضى السلّ، وطُوّر في العام 1377هـ/1958م (م. ن،

مج2، ص 1432). في العام 1369هـ/ 1950م أُسس في جنوبيّ إيران بيمارستان "شير وخورشيد سُرخ ايران" [مستشفى الأسد والشمس الحمراء الإيرانيّ]. في العام 1370هـ/ 1951م أُسست في طهران مؤسّسة علم السرطان، بمساعدة جامعة طهران، وجمعيةّ الأسد والشمس الحمراء، تحوّلت بعد ذلك إلى بيمارستان مجهّز لمرضى السرطان (م. ن، مج2، ص 1424). في العام 1376هـ/ 1957م وما بعدها أُسست كذلك في معظم المدن الإيرانيّة بيمارستانات عامّة ومتخصّصة، بجهود وزارة الصحّة، أو كليّات الطبّ، بحيث نرى في المدن الإيرانيّة الكبيرة والصغيرة، بما يتناسب وعدد سكّان المدينة وموقعها الجغرافيّ ووضعها الاقتصاديّ، بيمارستانات مجهّزة بمصحّات تابعة لها، أو مستقلّة عنها، لكنّها كلّها تتبع قانون تأسيس المؤسّسات الطبيّة وإدارتها. في نصف القرن الأخير، بدأ القطاع الخاصّ أيضاً بتمويل إنشاء البيمارستانات، والمراكز الاستشفائيّة العديدة في المدن الإيرانيّة.

المصادر والمراجع: ابن أبي أُصَيْبَةَ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، القاهرة 1299-1300هـ/ 1882-1883م؛ م. ن، بيروت 1957م؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ط. محمّد عبد المنعم العريان، بيروت 1407هـ/ 1987م؛ ابن البلخيّ، فارس نامه [تاريخ فارس]، ط. غي لسترنج، ورينولد آلن نيكلسون، لندن 1921م، ط. أوفست طهران 1363ش [1984م]؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، بولاق 1291هـ؛ ابن جليل، طبقات الأطباء والحكماء، ط. فؤاد السيّد، القاهرة 1955م؛ ابن الجوزيّ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد الدكن 1357-1359هـ/ 1938-1940م؛ ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، ط. كرامرس، ليدن 1967م؛ ابن النديم، كتاب الفهرست، ط. رضا تجدد، طهران 1350ش [1971م]؛ عبد الرحيم بن الحسن الأسنويّ، طبقات الشافعيّة، ط. كمال يوسف الحوت، بيروت 1407هـ/ 1987م؛ إبراهيم بن محمّد الإصطخريّ، كتاب مسالك الممالك، ط. دخويه، ليدن 1967م؛ عبّاس إقبال الآشتيانيّ، مجموعة مقالات عبّاس إقبال الآشتيانيّ، قسم 1، جمع وتدوين محمّد دبير سياقي، طهران 1369ش [1990م]؛ إيرانشهر، طهران: الجمعية الوطنيّة لليونسكو في إيران، 1342-1343ش [1963-1964م]؛ أحمد بن يحيى البلاذريّ، فتوح البلدان، ط. رضوان محمّد رضوان، بيروت 1398هـ/ 1978م؛ ط. أوفست قم 1404هـ؛ محمّد تمدّن، اوضاع ايران در جنگ اول، يا تاريخ رضائيه [الأوضاع الإيرانيّة في الحرب العالميّة الأولى، أو تاريخ رضائيّة]، أروميّه 1350ش [1971م]؛ تيمور الغوركانيّ، تزوكات تيموريّ [القوانين التيموريّة]، تحرير أبي

طالب الحسيني تربتي بالفارسيّة، أو كسفورد 1773م، ط. أوفست طهران 1342ش
[1963م]؛ إبراهيم تيموري، عصر بي خبري، يا، تاريخ امتيازات در ايران [العصر المجهول،
أو، تاريخ الامتيازات في إيران]، طهران 1332ش [1953م]؛ عمرو بن بحر الجاحظ،
البحلاء، بيروت 1407هـ/1987م؛ جعفر بن محمد الجعفريّ، تاريخ يزد، ط. إيرج أفشار،
طهران 1343ش [1964م]؛ علينقي بن إسماعيل حكيم الممالك، روزنامه سفر خراسان
[صحيفة رحلة خراسان]، طهران 1356ش [1977م]؛ أحمد بن داود الدينوريّ، الأخبار
الطوال، ط. عبد المنعم عامر، القاهرة 1960م، ط. أوفست قم 1368ش [1989م]؛ رشيد
الدين فضل الله، سوانح الأفكار الرشيدية، ط. محمد تقي دانش بجوه، طهران 1358ش
[1979م]؛ نفسه، وقفنامه ربع رشیدی [وقفية الربع الرشیدی]، ط. مجتبی مینوي وإیرج
أفشار، طهران 1356ش [1977م]؛ أحمد بن أبي الخير زركوب الشيرازيّ، شيرازنامه [تاريخ
شيراز]، ط. بهمن كريمي، طهران 1310ش [1931م]؛ عبد الوهاب بن عليّ السبكيّ،
طبقات الشافعية الكبرى، ط. محمود محمد الطناحيّ وعبد الفتاح محمد الحلويّ، القاهرة 1964-
1976م؛ محمد علي بن أحمد سديد السلطنة، بندر عباس وخليج فارس = أعلام الناس في
أحوال بندر عباس، ط. أحمد اقتداري وعلي ستايش، طهران 1363ش [1984م]؛ كارلا
سرنا، سفرنامه مادام كارلاسرنا: آدمها وآيينها در ايران [مدونة رحلة السيدة كارلاسرنا:
الناس والعادات والتقاليد في إيران]، ترجمه بالفارسيّة علي أصغر سعدي، طهران 1362ش
[1983م]؛ جعفر شهري باف، تاريخ اجتماعي تهران در قرن سيزدهم [تاريخ طهران
الاجتماعي في القرن الثالث عشر الهجري]، طهران 1367-1368ش [1988-
1989م]؛ إبراهيم بن محمد الصريفينيّ، تاريخ نيسابور: المنتخب من السياق، ط. محمد
كاظم محمودي، قم 1362ش [1983م]؛ محمد بن محمد عماد الدين الكاتب، تاريخ دولة
آل سلجوق، اختصار فتح بن علي البنداريّ، مصر 1318هـ/1900م؛ أحمد عيسى، تاريخ
البيمارستانات في الإسلام، بيروت 1401هـ/1981م؛ أبو القاسم الفردوسيّ، شاهنامه
الفردوسيّ، نصّ منقّح، مج7، ط. م. ن. عثمانوف، موسكو 1968م؛ حسن بن الحسن
الفسائيّ، فارسانمه ناصري [تاريخ فارس في عهد ناصر الدين شاه]، ط. منصور رستگار
الفسائيّ، طهران 1367ش [1988م]؛ عليّ بن يوسف القفطيّ، تاريخ الحكماء، وهو مختصر
الزوزنيّ المسمّى بالمنتخبات المنتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ط. ليرت،
لايبزيغ 1903م؛ محمد جواد الكاظميّ، مؤسسة علم معرفة فارس، شيراز، مقابلة، 3 مرداد

1379ش [25- 7- 2000]؛ آرتور أمانويل كريستن سن، ايران در زمان ساسانيان
[ايران في العصر الساساني]، ترجمه بالفارسيّة رشيد ياسمي، طهران 1351ش [1972م]؛
حسين كريمان، رى باستان [الرّيّ القديمة]، مج2، طهران 1349ش [1970م]؛ محمود نجم
آبادي، تاريخ طب در ايران پس از اسلام: از ظهور اسلام تا دوران مغول [تاريخ الطبّ في
ايران بعد الإسلام: منذ ظهور الإسلام حتى العصر المغولي]، طهران 1353ش [1974م]؛
ناصر نجمي، طهران عهد ناصري [طهران في عهد ناصر الدين شاه]، طهران 1364ش
[1985م]؛ محمود ناظم نسيمي، "إبداع الرسول العربيّ في فنّ الصحّة"، في أبحاث الندوة
العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مج1، حلب 1977م؛ سعيد نفيسي، "تاريخ
البيمارستانات الإيرانيّة"، شير وخورشيد سرخ ايران [جمعيةّ الأسد والشمس الحمراء الإيرانيّة]،
السنة 3، العددان 9- 10 (1329- 1330ش [1950- 1951م])؛

أجنبي...

/صادق سجّادي/